# اللمحة الإعجازية
# في متواتر القراءات القرآنية

أ.د. محمد عبد الواحد الدرسوني

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

# اللَّمحَةُ الإعجَازيَّة
# في مُتواتِرِ القِراءاتِ القُرآنيَّة

النور : ٤٠

# اللَّمحةُ الإعجازيَّة
# في مُتواتِرِ القِراءاتِ القُرآنيَّة

أ.د. محمد عبد الواحد الدسوقي
أستاذ أصول اللغة بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بالمنوفية

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَة

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٨٦٨ / ٢٠١٢م

I S B N
978- 977- 481- 087- 09

**دار الكتب المصرية**
**فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية**

**الدسوقي ، محمد عبد الواحد .**
اللمحة الإعجازية في متواتر القراءات القرآنية / محمد عبد الواحد الدسوقي .. ط١ .. القاهرة : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠١٣ .
١٦٠ ص ؛ ٢٤سم .
تدمك ٩ ٠٨٧ ٤٨١ ٩٧٧ ٩٧٨
١- القرآن ، إعجاز
٢- القرآن ، القراءات
أ - العنوان

٢٢٩,٧

مَكتَبَة الإمَامِ البُخَارِيّ
الإسماعيلية ٤٦ شارع الجمهورية .. الثلاثيني .. بعد السنترال
تليفون ٠٦٤٣٦١١٦٨٦

# المحتويات


**مقدمة** ..... ٧

**تمهيد : ماذا نقصد بالإعجاز القرائيّ ؟** ..... ١١

**الفصل الأول : ألفاظ الإعجاز القرائيّ في المجال الكونيّ ومتعلقاته** ..... ١٣

**المبحث الأول : نشأة الكون** ..... ١٥

**المبحث الثاني : الفلك** ..... ٢١

أ ـ السماوات ..... ٢١

ب ـ الشمس ..... ٢٦

ـ سراجا ..... ٢٦

ـ لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ..... ٣٠

ـ المشرق والمغرب ..... ٣٤

**المبحث الثالث : الفضاء الكونيّ** ..... ٤٠

أ ـ التصعُّد في السماء ..... ٤٢

ب ـ الرِّيَاح اللَّوَاقِح ..... ٤٩

**المبحث الرابع : الأرض** ..... ٥٤

ـ مَهْد ، مِهَاد ..... ٥٤

**الفصل الثاني : ألفاظ الإعجاز القرائيّة في مجال الكائنات** ..... ٦١

**المبحث الأول : الإنسان** ..... ٦٣

١ ـ خَلْقه من ماء دافق ..... ٦٣

٢ ـ إقراره في الرحم ..... ٧١

٣ ـ حمله كرها ووضعه كرها ..... ٧٥

٤ ـ فسواك فعدلك ..... ٨١

٥ ـ ضعف ثم قوة ثم ضعف ..... ٨٦

٦ ـ التنكيس في الخلق ..... ٩٢

٧ـ تقدير الموت ..... ٩٥
**المبحث الثاني : الحيوان** ..... ١٠٠
ـ الإبل ..... ١٠٠
**المبحث الثالث : النبات** ..... ١٠٦
أ ـ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ..... ١٠٦
ب ـ تنبت بالدهن ..... ١١٣
**المبحث الرابع : الجماد** ..... ١١٧
أ ـ ربت .. ربأت ..... ١١٧
ب ـ العَيْنُ الحَمِئَة ..... ١٢٢
ج ـ غور الماء ..... ١٢٨
د ـ تسجير البحار ..... ١٣٣
**الخاتمة** ..... ١٤١
**المصادر والمراجع** ..... ١٤٣
**الكشافات :** ..... ١٥١
١ـ الآيات القرآنية ..... ١٥٣
٢ـ الأحاديث والآثار ..... ١٥٧
٣ـ الأعلام ..... ١٥٨
**السيرة الذاتية للمؤلف** ..... ١٦٠

* * *

# مُقدِّمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ...

فهذه الدراسة أَصْلٌ لبحثٍ علميٍّ ، أُلقي في المؤتمر الأول بكلية القرآن الكريم بطنطا في موضوع ( الإعجاز العلميّ في القراءات والمصطلحات القرآنية ) في المحرم ١٤٣٤هـ = نوفمبر ٢٠١٢م . وتسعى إلى إثبات الإعجاز العلميّ للقراءات القرآنية المتواترة ؛ في الجانب الدلالي ، ويعتمد هذا الإثبات على التراث اللغوي ، في تفسير أصول القراءات القرآنية وألفاظها ، مشتركا مع جهود المفسرين ؛ لأن القدامى من السلف : لغويين ومفسرين ، كانوا أقرب إلى فهم القرآن . ثم تنظر تلك الدراسة في نتائج البحوث العلمية ، التي تُفَسِّر إعجاز النص القرآنيّ ؛ لأن بيان الإعجاز في القرآن وقراءاته ، مُؤَيَّدًا بالحقائق العلمية ، يعد انتصارا لعقيدة هذا الوحي ، وللكتاب المُؤَسِّس لتلك العقيدة ، وللوِعَاء الذي حمل هذا الكتاب ، وهو اللغة العربية ؛ ولأن الإعجاز في متواتر القراءات إعجاز في النص القرآنيّ المقطوع بصحته ؛ لأن ألفاظ القراءات المتواترة جزء من النص القرآنيّ المُوحَىٰ به ؛ فهي قرآن معجز من عند الله ـ تعالى ـ وليست تحريفًا للقرآن ، كما يُرَوِّج المُضِلُّلون.

ويتناول هذا البحث : ألفاظ القراءات المتواترة ، التي تكشف دلالاتها جوانب الإعجاز العلميّ المتنوعة ، فيما يتعلق بالكون فضاءً وأجرامًا ، وما يتعلق بالكائنات : الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والجماد.

ويتكون هذا البحث من : تمهيد ، وفصلين ، وخاتمة .

أما **التمهيد** ؛ فمضى مشتملاً على قيمة هذا الموضوع ، والدوافع الداعية لدراسته ، والهدف المنتظر من تلك الدراسة .

وأما **الفصلان** ؛ فكان **أولهما** بعنوان : ألفاظ الإعجاز القرائيّ في المجال الكوني .

ويبدأ ببيان المقصود بالإعجاز القرائيّ ، وبالكون ، ثم يتبع ذلك بدراسة الإعجاز في إشارة القراءات القرآنية إلى نشأة الكون ، ومراحل خلقه ، ثم يتناول بالدراسة الأفلاك وما يتعلق بها ، فبدأ بالسماء ذات الحُبُك ، فالنجوم ممثلة في الشمس : مَسَارًا ، وسِرَاجًا ، ومَشْرقًا وغُرُوبًا ، فالفضاء الذي بين السماء والأرض : تصعُّدًا فيه وعروجًا ، ثم أتبع ذلك بالرياح اللواقح ، ثم عرَّج على تمهيد الأرض لحياة الكائنات ؛ باعتبارها كوكبا تابعا للشمس ، كل ذلك من خلال نتائج الحقائق العلمية ، وإشارات القِراءات القرآنية ، في ضوء توجيه المفسرين واللغويين للقراءات ، والنتائجِ المبنية على ذلك.

**ثم جاء الفصل الثاني** ، فكان بعنوان : ألفاظ الإعجاز القرائيّ في مجال الكائنات ، فتناول بالدراسة إشارة القِراءات المتواترة ، إلى الإعجاز العلميّ في الكائنات ، مرتبة ترتيبا منطقيا ، الإنسان ، فالحيوان ، فالنبات ، فالجماد.

* **أما الإنسان** فتناوله من حيث القِراءات في : خلقه من ماء دافق ، فإقراره في الرحم ، فحمله كرها ووضعه كرها ، ثم تناول التسوية والتعديل بعد الخلق ، في ﴿ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [ الانفطار : ٧ ] ، ثم مراحل الضّعف والقوة في حياة الآدميّ ، ثم مرحلة الشيخوخة : التنكيس في الخلق ، ثم خُتِم بإعجاز القِراءات في الموت المقدر في خلايا جسم الإنسان.

* **وأما الحيوان** ؛ فتناول ما قُرئ به في : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [ الغاشية : ١٧ ] مبينًا الإعجاز في خلق ( الإِبِلِ ) بعد تحديد دلالة ما قرئ به فيها.

* **وأما النبات** ؛ فتناول إعجاز القِراءات في : المؤازرة بين النبات وشطئه ، المُخْرَج من النبات ، ثم إنبات شجر الزيتون بالدُّهن .

* ثم جاء موضوع **الجماد** ، الذي كان ختاما لهذا الفصل ، وذلك البحث ، متناولًا : إعجاز القِراءات في تربة الأرض ، عندما تستقبل الماء ؛ فترباً أو تربو ، ثم ( العين الحمئة ) ، حيث اجتهدت الدراسة في تحديد تلك العين ، تحديدًا مبنيًّا على أُسُس قوية ، بمساعدة القِراءات القرآنية ، وتبع هذا دراسة ما قرئ به في غور الماء ، ثم كان خَتْم خِتَام هذا البحث في تسجير البحار بالنار بخاتمته ، متضمنة التوصيات التي تقرَّرت ، من خلال تلك الدراسة .

ولا أَنْسَىٰ أن أُسَجِّل شُكري لكل المنتمين إلى كلية القرآن الكريم وأخص منهم : رُبَّان هذه الكلية ، وضابط مَسَار دَفَّتِها : الأستاذ الدكتور / سامي عبد الفتاح هلال عميد الكلية ، والأستاذ الدكتور / محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي وكيل الكلية ، داعيا الله ـ تعالى ـ للجميع ونحن منهم ، أن نكون من سدنة كتاب الله الأجل ، والمِحْراب الذي يتلى فيه حق تلاوته ..

كما أسأله سبحانه أن يتقبَّل هذا العمل بقَبُولٍ حَسَنٍ ، وأن يأجرُ صاحبه ، ومُقوِّمه . وصلَّى الله ـ تعالى ـ على رسوله وسلم .

**محمد عبد الواحد الدسوقي**

**شبين الكوم** : في عشية يوم الجمعة

لأربع بقين من ربيع الآخر ١٤٣٤هـ

الموافق ٨ / ٣ / ٢٠١٣م

## تمهيد

### ماذا نقصد بالإعجاز القرائيّ ؟

يُقصد بالإعجاز القِرَائي : الإعجاز العلميّ في القِراءات القرآنية ، عن طريق إخبارها بحقيقة علمية ؛ أثبتها العلم التجريبي ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية ، في زمن الرسول ﷺ ، مما يظهر صدقه فيما أخبر به ، عن ربه[١] ـ سبحانه وتعالى ـ .

### الهدف من الدراسة :

تهدف هذه الدراسة ، إلى توظيف الحقائق العلمية ؛ لخدمة ألفاظ القرآن الكريم عامة ، وقراءاته المتواترة : مجال الدراسة ، بصفة خاصة ، في محاولة تُسْهِم في إعادة النظر في دلالات القِراءات ؛ مما يعين على تدبر القرآن وقراءاته ، وفقا لتلك الحقائق .

وتبرهن تلك الدراسة ، على أن دراسة مظاهر الإعجاز العلميّ ، في قراءات القرآن المتنوعة ؛ تضيف دلالات إلى دلالاته ، فضلا عن إماطة اللثام عن روعة صور الإعجاز العلميّ المتنوعة في القرآن ؛ بسبب أن تلك المظاهر تعتمد في تأسيسها على كثير من العلوم ، مما يزيد معاني كلمات القرآن إيضاحا ، ويؤكد في نفس الوقت الترابط بين تلك العلوم والقرآن الكريم .

هذا ... في الوقت الذي ابتعد فيه المهتمون بالبحث ، من أصحاب الكتب المقدسة الأخرى ، عن محاولة إيجاد تفاسير علمية ، لما في نصوص كتبهم ،

---

(١) يُنْظَر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، وعبد الجواد الصاوي ٢٨ نشر: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة :١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م .

تجنبا للتضارب بين الآراء الدينية والحقائق العلمية ، وهربا من مظاهر الخلل في كتب عقائدهم ؛ لئلا تنتهي بنسف عقيدتهم ؛ وبهذا يظل القرآن مهيمنا على كل الكتب السماوية السابقة عليه ؛ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وقد غَدا الإعجاز العلميّ ، في الحقبة الأخيرة من عصر البحث العلميّ ، والعمر الدّعوي ، مددًا جديدًا ودَعْمًا فريدًا ، يحمل الداعية ؛ فيهديه إلى أقرب الطرق إقناعًا وإمتاعًا ، حتى صار رافدًا عصريًّا من روافد الدعوة إلى الإسلام ، في بلاد الإسلام وغير بلاده ، بين أهله وفي غير أهله ، وكان من نتائج ذلك ، أن بدأت بعض الجامعات ، تشرع في جعله ضمن المناهج الدراسية ، وخاصة بعدما ظهر من نتائجه المباشرة دخول عدد ـ ممن فهم حقائق الإعجاز ـ في الإسلام ، واصطف في جبهة المُدَافِعين عن هذا الدين ، وهذا من تأييد الله لتلك الشريعة وكِتابها في عصرنا الحاضر .

* * *

الباب الأوّل

# ألفاظ الإعجاز القرآني
## في المجال الكوني ومتعلقاته

## المبحث الأول

# نشأة الكون

**يُقصد بالكون** : جملة الموجودات التي لها مكان وزمان كالأجرام ، ومن العلوم المتعلقة به : عِلْم الكَوْن ، وهو : علم يُبْحَث فيه عن العالم من حيثُ قوانينه التي يسير بمقتضاها[١] .

ومن المُصطلحات العلمية المتعلقة بذلك ، مصطلح : نشأة الكون ، وهو مصطلح يطلق على : عِلْم يُفْسِّر كيفيّة نشْأة الكَوْن والأجرام السماويّة[٢] ، ويُراد به هنا نتائج الحقائق العلمية ، عن بدايات الكون ، ومراحل خلقه ، من حيث إعجاز القِراءات القرآنية ، في الإشارة إلى ذلك ، في ضوء توجيه المفسرين واللغويين ، والنتائج المبنية على ذلك .

**وفيما يلي عَرض لما في هذا المجال من قراءات :**

* **رَتْقًا** :

قال ـ تعالى ـ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

قرأ جمهور القُرَّاء : ( رَتْقاً ) بسكون التاء .

وقرأ : الحسن البصريّ ، وزيد بن عليّ ، وأبو حَيْوة ، وعيسى بن عمر البصريّ ( رَتَقاً ) بفتح التاء[٣].

وقراءة الجمهور هي المتواترة ، و ( رَتْقاً ) فيها مصدر وقع خبراً للمثنى ،

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ١٩٧٤/٣.

(٢) السابق .

(٣) المحتسب ٦٢/٢ ، مختصر في شواذ القرآن ٩١ ، البحر المحيط ٢٨٦/٦ .

ونعت به ، كما يقال : رجل زوْر ، وعدْل[١] ، في زائر وعادل.

والقراءة الأخرى : ( رَتَقاً ) بفتح التاء : وصف بمعنى المرتوق[٢] .

والرَّتْقُ ضدّ الفَتْق[٣] ، أو: إلحامُ الفَتْق[٤] ، والتئامه ، والالتصاق بلا صدوع فيه أو شقوق[٥] .

وكيف كان الرتق ، وبأيْ معنى فُتِق؟ تساءل أبو جعفر الطبري [٢٢٤-٣١٠هـ] عن ذلك ، مجيبا بما ذكره عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن السماوات والأرض كانتا ملتزقتين ، ففتقهما الله ، أو رفع السماء ووضع الأرض[٦] ، وفيما ذكر عن الحسن البصري ، وقتادة : أنهما كانتا جميعا ، ففصل الله بينهما بهذا الهواء[٧] .

والنعت في الآية بالمصدر ( رَتْقاً ) في قراءة الجمهور ؛ أوضح تعبيرًا ، وأقوى في الدلالة على الالتصاق ، وأبلغ من النعت بالمشتق : رَتَق بمعنى المرتوق في القراءة الأخرى ؛ فقولك : زيد عَدْل ، أبلغ من قولك عادل ؛ لأن معنى عدْل : أن زيداً هو العدل نفسه ؛ ولذا قال ابن جني : إن النعت بالمصدر مباشرة ، من غير تقدير شيء محذوف ، أبلغ وألطف من النعت بغير المصدر ؛ لأنك تجعل المنعوت هو المصدر نفسه مبالغة[٨] .

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٨٦ .

(٢) السابق .

(٣) لسان العرب ( رتق ) ١٠/ ١١٤ .

(٤) معجم العين ٥/ ١٢٦ .

(٥) الجواهر الحسان للثعالبي ٥٢/٣ ، ط . مؤسسة الأعلمي . بيروت .

(٦) جامع البيان للطبري ٤٣١/١٨

(٧) السابق .

(٨) المحتسب ٤٦/٢ .

ويؤيد ذلك نعت المثنى في القراءة بالمفرد ؛ إذ قال ـ تعالى ـ ( كَانَتَا رَتْقاً ) ولم يقل: كانتا رتقين ، وكأن في ( رَتْقاً ) ما يدل على أنهما كانتا متحدتين كالشيء الواحد.

والمراد بـ ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ : الكون عامة ، على ما تقرره نتائج البحوث العلمية الفلكية[١] ، وقوله : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ واضحة الدلالة ، على أن الكون الذي نحيا فيه كَوْنٌ مخلوق له بداية، وفيما يرى علماء فيزياء الفلك : أن الكون كان منذ ١٥ ـ ٢٠ ألف مليون سنة تقريباً كتلة ضخمة من الهيدروجين مع جزء من الهيليوم[٢] ، حيث كانت هذه الكتلة جرما ابتدائيا واحدا ( : مرحلة الرتق ) ، ثم أمر الله ـ تعالى ـ بفتق هذا الجرم الابتدائي فانفتق ( مرحلة الفتق ) ؛ ثم تحول إلى غلالة من الدخان ( : مرحلة الدخان ) ، وخلق الله ـ تعالى ـ من هذا الدخان كلا من الأرض والسماء ، أي جميع أجرام السماء وما ينتشر بينها ، من مختلف صور المادة والطاقة ، مما نعلم وما لا نعلم ، وتعرف هذه المرحلة باسم ( : مرحلة الإتيان بكل من الأرض والسماء ) ؛ قال ـ تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] [٣] .

« وكان في هذا الاكتشاف التفسير المنطقي ؛ لسبب الأزيز اللاسلكي المنتظم؛ الذي يعج به الكون ، ويأتي إلينا من مختلف أطراف الكون المدرك، بعدما بقي على هيئة صدىً لعملية الانفجار الكبير، وقد منح كل من : ( بنزياس ) و ( ولسون )

---

(١) مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن : مروان وحيد شعبان ٤ .

(٢) إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن : رفيق أبو السعود ١٩بالحاشية .

(٣) من أسرار القرآن : د زغلول النجار : سلسلة مقالات في جريدة الأهرام المصرية منها تلك المقالة بتاريخ : ٢٠٠١/٥/٢٨م ، ظ . الكون والإعجاز العلمي في القرآن ٣٤١ ، د . منصور محمد حسب النبي ط٣: دار الفكر العربي . القاهرة : ١٩٩٦م ، مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن مروان وحيد شعبان ١٢ .

جائزة نوبل في سنة ١٩٧٨م ، على اكتشافهما [لهذا الأزيز] الذي كان فيه الدليل المادي الملموس ؛ لدعم نظرية الانفجار الكبير، والارتقاء بها إلى مقام الحقيقة شبه المؤكدة، ودفع بالغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية ، إلى الاعتقاد بصحتها »[١] ؛ ولذا فبعض العلماء يذهب إلى أن نظرية الانفجار الكبير لم تعد نظرية علمية ، بل غدت حقيقة علمية[٢] ؛ وقد ثبت مؤخرًا أن هذا الكون الضخم ؛ مازال تحت تأثير ذلك الانفجار[٣] ؛ ويؤكد تلك الحقيقة :

* أنه « في سنة ١٩٨٩ م أرسلت مؤسسة ( ناسا ) الأمريكية إلى الفضاء قمرا صناعيا ( كوب ) ؛ لجمع المعلومات حول الإشعاع الحراري الكوني ؛ وزود بأجهزة فائقة الحساسية ، أثبتت وجود تلك الأشعة الأثرية المتبقية عن عملية الانفجار العظيم »[٤] .

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠١/٥/٢٨م ، و: ظ . إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن: رفيق أبو السعود ٩ ، ١٩: ط: ٣ دار المعرفة : ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

(٢) من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : د . عاطف قاسم المليجي ٥٢ ، ط١: النهار . القاهرة : ٢٠٠٠م .

(٣) إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن رفيق أبو السعود ٢١ .

(٤) من أسرار القرآن ٢٠٠١/٥/٢٨ ، المعجزات القرآنية هارون يحيى ١٠ .

* ما توصل إليه ( هوبل ) من أن المجرات السماوية تتباعد ؛ مما يؤكد أن الكون في حالة اتساع ، وفي هذا ما يدلل على صحة نظرية الانفجار الكبير ؛ كما أنه على هذا الوضع من الاتساع ـ كما ذكر علماء الأرصاد ـ فإن الكون ستتضاعف مساحته بعيد ١٣٠٠مليون سنة(١) .

* ولأن هذا الاتساع لو عاد إلى أوضاعه تدريجيا إلى الخلف ؛ لتبين أن أجزاء هذا الكون كانت كتلة واحدة ، وهو أساس النظرية(٢) .

وعلى هذا فتعبير القرآن بـ ( الفتق ) يدلل على أن الفتق قد سبقه رتق ؛ وأن التعبير بلفظ « الفتق » أدق من التعبير بغيره من المترادفات كـ ( ـالفصل ) ؛ ويؤيد ذلك قول أبي هلال العسكري [ ... ـ بعد ٣٩٥هـ ] « الفرق بين الفصل والفتق : أن الفتق بين الشيئين الذين كانا ملتئمين ، أحدهما متصل بالآخر ، فإذا فرق بينهما فقد فتقا ، وإن كان الشئ واحدا ؛ ففرق بعضه من بعض ؛ قيل : قطع، وفصل ، وشق ، ولم يقل : فتق ، وفي القرآن ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ والرتق مصدر رتق رتقا ؛ إذا لم يكن بينهما فرجة ، والرتقاء من النساء : التي يَمْتَنِع فتقها على مالكها »(٣) .

« وبَدْء خلق الكون بعملية انفجار كبري من دلائل القدرة الإلهية ؛ لأن المعروف

---

(١) مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن : مروان وحيد شعبان ١٧ ، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن٥٢ .

(٢) القرآن الكريم والعلم الحديث: د . منصور محمد حسب النبي ٢٤١ ، ط : دار المعارف ، بدء الخليقة حقيقة أفحمت المكابرين: د . محمد دودح : مجلة الإعجاز العلمي العدد ٤٠صفحة ٥ ، ٧: صفر ١٤٣٣هـ ، إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن ٢١ ، المعجزات القرآنية هارون يحيى ١٦ .

(٣) الفروق اللغوية ١٥٢ تحقيق : محمد إبراهيم سليم . ط . دار العلم والثقافة . القاهرة .

أن الانفجار بطبيعته ، يؤدي إلى تناثر المادة وبعثرتها ، ولا يخلف وراءه إلا الدمار، أما هذا الانفجار الكوني : الفتق بعد الرتق ؛ فقد أَدَّىٰ إلى إبداع نظام كوني ؛ له تصميم دقيق محكم الأبعاد والعلاقات والتفاعلات، منضبط الكتل والأحجام والمسافات، منتظم الحركة والجري والتداخلات ... على الرغم من تعاظم أبعاده ، وكثرة أجرامه ، وتعقيد علاقاته، وانفجارٌ هذه نتائجه ؛ لا يمكن أن يكون قد تم بغير تدبير حكيم ، وتقدير مسبق عظيم ، لا يقدر عليه إلا ربُّ العالمين »[١] .

* * *

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠١/٥/٢٨م .

## المبحث الثاني

## الفـــلك

يتناول هذا الجانب دراسة الإعجاز العلميّ في القِراءات القرآنية ، الواردة فيما يتعلق بالفلك الكوني ، وما يدور فيه ؛ فيتناول : السماء ذات الحبك ، فالنجوم ممثلة في الشمس : مَساراً ، وسراجًا ، ومشرقًا وغروبًا ، فالفضاء الذي بين السماء والأرض : تصعُّدًا فيه وعُروجًا ، ثم يتناول الرياح اللواقح ، ثم يعرِّج على تمهيد الأرض لحياة الكائنات ؛ باعتبارها كوكبا للشمس تابعا ، كل ذلك من خلال القِراءات القرآنية ، الواردة في ذلك :

### أ ـ السماوات

قال ـ تعالى ـ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ [الذاريات : ٧] .

قرأ الجمهور : الحُبُك بضمتين[١] ، وقرأ : ابن عباس – رضي الله عنهما – والحسن البصري وغيرهما : الْحُبْكِ بإسكان الباء[٢] ، بوزن القُفْل تخفيفا[٣] لما في قراءة الجمهور .

وقرأ أبو مالك الغِفَاري ، والحسن البصري ، في وجه آخر عنه ، بكسر الحاء والباء[٤] ، بوزن الإِبِل[٥] .

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٣٣ .

(٢) الجامع لأحكام ١٧/ ٣٢ ، البحر المحيط ٨/ ١٣٣ .

(٣) الكشاف ٤/ ٣٩٩ .

(٤) البحر المحيط ٨/ ١٣٣ .

(٥) الكشاف ٤/ ٣٩٩ .

وقرأ أبو حَيْوة : بكسر الحاء وإسكان الباء ، وهو تخفيف فِعِل المكسورِهما ؛ على أنه اسم مفرد لا جمع ؛ لأن فِعْلاً الذي جاء عليه الحِبْك ليس من أبنية الجموع ، فينبغي أن يعد مع إبل فيما جاء من الأسماء على فعل بكسر الفاء والعين[١] .

وقرأ عكرمة : الحُبَك بفتح الباء ، جمع حُبْكة ، مثل : طُرْفة وطُرَف[٢] .

وقراءة الجمهور:الْحُبُك ، هي وحدها المتواترة ، و هي جمع حِباك ؛ ككِتاب وكُتُب ، أوجمع حَبيكة ، كطَريقة وطُرُق[٣] .

والْحُبُك : التكسير الذي في كل شيء ؛ يقال لتكسير الشعرة الجعدة : حُبُك ؛ وكذلك : الرمل إذا مرّت به الريح الساكنة ، وموج الماء القائم ، والدرع من الحديد[٤] .

وعن أصل مادة حبك الدلالي قال ابن فارس : « الحاء والباء والكاف أصل منقاسٌ مطّرِد ؛ وهو إحكام الشَّيء في امتدادٍ واطِّراد »[٥] .

ويُؤيده تفسير ابن دريد لذات الحُبُك ، بأنها ذات الاستواء وحسن الصنعة[٦] ، ويتضح ذلك في أن الحُبُك « مشتقة من الحَبْك بفتح فسكون ، وهو إجادة النسج وإتقانُ الصُّنع »[٧] .

ولذا قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعكرمة وقتادة والربيع : ﴿ ذَاتِ

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٣٣ .

(٢) السابق .

(٣) التحرير والتنوير٢٦/٣٤١ .

(٤) جامع البيان ٢٢/ ٣٩٤ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٣٠ .

(٦) جمهرة اللغة . تح : د ٠ رمزى منير بعلبكي ( ١/ ٢٨٢ ) .

(٧) التحرير والتنوير٢٦/ ٣٤١ .

ٱلْحُبُكِ ﴾ ، أي : ذات الخلق المستوي الجيد[١] ، وأكد هذا المعنى عكرِمة في قوله : ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب ؛ قيل: ما أَحْسَنَ حَبْكَه ![٢] .

ويذهب الحسن البصري ، وسعيد بن جبير إلى أن المراد بـ ﴿ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ : السماء المُزَينة بالنجوم[٣] ؛ فـ « يكون المراد بحُبُك السماء : نُجوْمُها ؛ لأنها تشبه الطرائق الموشاة في الثوب المحبوك المتقن »[٤] . وروي عنهما ـ أيضا ـ أن : الحُبُك : طرائق المجرّة التي تبدو ليلاً في قبة الجو[٥] .

« وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد بـ [ الْحُبُكِ ] طرائق الكواكب وممراتها، كما يقال في المحابك ، ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء ، من الأشكال بسبب النجوم ؛ فإن في سمت كواكبها طريق : التِّنِّين ، والعقرب ، والنِّسر ـ الذي يقول به أصحاب الصور ـ ومنطقة الجوزاء ، وغير ذلك كالطرائق ، وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب »[٦] .

وقيل: ذَاتِ الْحُبُكِ : ذات الشدة ؛ لقوله : ﴿ ... سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ:١٢] [٧] .

**ومما يدل على إحْكام السماء :**

أن ما أمكن إحصاؤه من المجرات لعلماء الفلك ، زُهَاء مائتي ألف مليون

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٣٣ .

(٢) جامع البيان ٢٢/ ٣٩٦ .

(٣) البحر المحيط ١٣٣/٨ .

(٤) التحرير والتنوير٢٦/ ٣٤١ .

(٥) السابق .

(٦) مفاتيح الغيب ١٧٠/٢٨ .

(٧) البحر المحيط ٨/ ١٣٣ .

مجرة على الأقل ، متفاوتة الشكل والحجم والوزن ، تتجمع هذه المَجَرَّات في مجموعات ، تضم عشرات المجرات ، وتلك المجموعات تنتمي إلى مجموعات أكبر ، وتلك المجموعات الأكبر تنتمي إلى أكبر منها ، حتى ترتقي إلى مجموعات أعظم ، لا يعلمها إلا الله ـ تعالى ـ ، ومجرتنا : سِكَّة التَّبَّانة ـ التي تنتمي إليها شمسنا وتوابعها ـ تعد في هذا الحشد الهائل هباءة منثورة[١] .

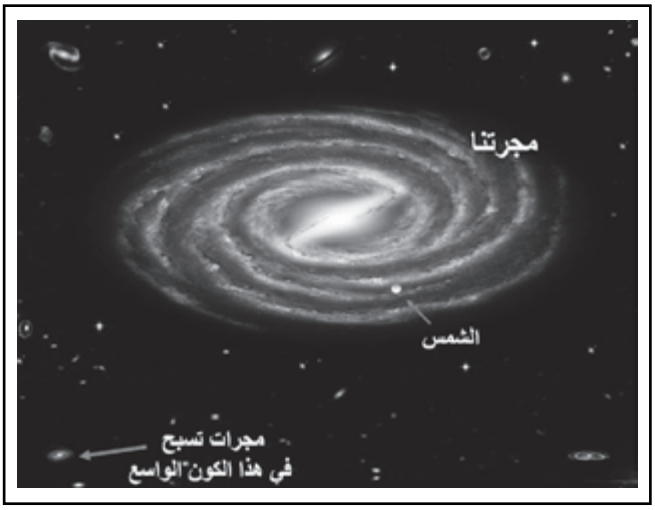


كل ذلك يُدَلِّل على ضخامة هذا البناء ، وهو السماء ، كما يدل على إتقان صنعته ، واحتياجه إلى قدرة بالغة ، تحفظ ترابطه ، ، هي قدرته ـ جل وعلا ـ الذي أودع فيها القوة النووية ، التي تقوم بربط الجسيمات الأولية للمادة ، ومن ثم الاندماج النووي داخل النجوم ، إضافة إلى القوة الكهرومغناطيسية ، وقوة الجاذبية وغيرها من القُوَى ، وتَبين للعلماء أنه مع كثرة الأجرام التي لاتحصى ، فإن لكل منها مسارا محددا لا يتخطاه ، ولا يحدث فيه تضارب أو اصطدام[٢] .

وقد ظهر لعلماء الفلك شيئ في غاية الروعة ؛ هو أن المادة المكونة بين كل

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠١/٩/٣م .

(٢) السابق .

من النجوم والمجرات ، تبدو مجعدة كتجعد الرمل ، إذا مرت به أمواج المياه ، أو تيارات الرياح ، التي تُحْدث بالرمل أو المياه تكسرا[١] .

وفي أواخر عام ٢٠٠٥ م تقريبا قام مجموعة من علماء الفلك ، من : بريطانيا، وألمانيا ، وكندا ، وأمريكا ، بتغذية جهاز ( السوبر كومبيوتر )[٢]بعشرة آلاف مليون معلومة ، عن عشرين مليون مجرة فقط ، وكان من هذه المعلومات : تجمعات المجرات ، وتحديد الطرق والمسارات التي تسلكها المجرات والنجوم.

وأخرج الحاسب الآلي لأول مرة صورة تبدو كالكون الحقيقي تماما ، كما ذكر ( د.كارلس فِرمنك ) البريطاني موزعا فيها المجرات ، وكانت تلك الصورة تشبه تماما نسيج العنكبوت ، وهذا ما دفع العلماء إلى تسمية المكونات الفلكية بـ ( النسيج الكوني )[٣] ؛ تعبيرا عن بنية الكون الدقيقة المترابطة.

وكان من أعجب العجب ؛ أنهم لما قاموا بتطبيق تلك الصورة على نموذج ، تبين لهم دقة الترابط بين النسيج الكوني ، وروعة إحكامه ، فأطلقوا على هذا الإحكام كلمة[٤] : ( Weave ) وهي تعني في الإنكليزية : ينسج أو يحبك النسيج، أو يتخذ طريقا ملتويا[٥] .

وكل ما سبق عرضه مما توصل إليه العلم الحديث ، لم يضف أكثر من ما عبر به

---

(١) نفسه .

(٢) جهاز ضخم في حجم شقة سكنية مساحتها مائتا متر مربع ، ينجز من الحسابات المعقدة ، في ثانية واحدة ، ما يقوم به محاسب مستخدما آلة حاسبة عادية في عشرة ملايين سنة . النسيج الكوني ٩٠ .

(٣) السابق .

(٤) أطلقها من علماء الفلك الغربيين كل من : ريتشارد بوند وزميليه . ظ . النسيج الكوني ١٠١ بالحاشية .

(٥) ظ . تفسير كلمة ( Weave ) في قاموس ( Hello ) صفحة ٣٥٨ ط . وزارة التربية والتعليم . مصر : ٢٠١٢-٢٠١٣م ، قاموس ( أوكسفورد ) ن . س . دانياش : صفحة ١٣٥٨: ط جامعة أوكسفورد: ١٩٧١م .

القرآن ، أو فسره السلف من اللغويين والمفسرين ، وهو ما يعد إعجازا علميا ولغويا للقرآن الكريم ، وفي نفس الوقت يؤكد أن القسم بالسماء ذات الحبك ، يَدُل على عظمة الخلق في المُقْسَم به ، ويُنبه بالتوازي مع هذه العظمة إلى شناعة ما يصدر من المشركين من اختلاف وتضارب أقوالهم ، كما يشير إلى أن الحبك ليست مجالا حرا للسبح ، بل بطرق محددة ، مع تداخل وتشابك وجمال وتنظيم(١) .

## ب ـ الشمس

**سراجًا :**

قال ـ تعالى ـ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان : ٦١] .

قرأ حمزة والكسائي وخلف ( سُرُجاً ) بضم السين والراء من غير ألف على الجمع .

وقرأ الباقون بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الإفراد(٢) .

والسِّراج في اللغة : المصباح ، مطلقا(٣) ، وبعضهم خصه بالمصباح الزاهر الذي يُسْرَجُ بالليل(٤) .

وأصل مادة ( سرج ) « يدلُّ على الحسن والزّينة والجمال ، من ذلك السِّراج ، سمِّي لضيائه وحُسْنه ، ومنه السَّرْج للدّابّة ، هو زينتها ، ويقال : سَرَّج وجهَه ، أي حَسَّنه ، كأنه جعله له كالسِّراج »(٥) .

---

(١) وجوه من الإعجاز ٨٦ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٤ .

(٣) العين ٣/ ١٢٦ ، تهذيب اللغة٤/ ١٥٦ ، المحكم ٧/ ٢٦٩ .

(٤) لسان العرب ( سرج ) ٢٩٧/٢ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٣/ ١٥٦ .

وورد لفظ سراج في القرآن في أربعة مواضع[١] ، أحدها في وصف النبي محمد ﷺ مشبها بالسراج في الهداية ، والباقية أطلقت على ما في السماء[٢] .

والسراج في قراءة الجمهور بالإفراد ، يطلق على الشمس ، وكذلك هي في لغة العرب[٣] ، والشمس المرادة ، هي تلك التي تذكر دائما في القرآن مفردة مع القمر ؛ وذلك لأن ضوءها قوي جدا ، ولذا وصفت في القرآن بكونها ﴿ سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٣] ؛ فهي سراج قوي فعلا ، وله لهب ؛ حيث إن آخر ما أثبته العلم وأكده ، أن الطاقة المنبعثة من الشمس ناتجة من اندماج نووي طبيعي ، تحت ظروف عالية الضغط والكثافة ، والحرارة في باطنها ، فهي مفاعل نووي عملاق[٤] ؛ إذ تبلغ حرارة سطحها ستة آلاف درجة مئوية ، وإذا كان الحديد يتحول إلى سائل كالماء عند درجة حرارة ١٥٢٨٠م[٥] ، فإن حرارة سطح الشمس أربعة أضعاف درجة انصهار الحديد ، كما أن حرارة جوفها تصل إلى عشرين مليون درجة مئوية ، وكما أن للسراج لسان لهب ، فإن ألسنة لهب الشمس ترتفع عن سطحها إلى نصف مليون كيلو متر[٦] ؛ وهذا يفسر شدة ضوئها ، الذي ينتج من طبقة غازات ساخنة ، على سطح الشمس ، تسمى ( فوتوسفير ) ، وهي الطبقة السفلى المرئية ، يليها الطبقة الملونة

---

(١) الفرقان :٦١ ، الأحزاب: ٤٦ ، نوح :١٦ ، النبأ:١٣ .

(٢) المعجم المفهرس: محمد فؤاد عبد الباقي ٣٤٨ ، ط . دار الحديث ، قاموس القرآن للدامغاني ٢٣٤ .

(٣) لسان العرب ( سرج ) ٢٩٧/٢ .

(٤) ( وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ) بحث قدمه د . ياسين محمد المليكي للمؤتمر الدولي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدبي ، علوم الفلك والأرصاد ص٣ ، من أسرار القرآن ٢٦/ ٨/ ٢٠٠٢م .

(٥) تقنيات سباكة المعادن والاستفادة من معطياتها في تنفيذ المشغولات المعدنية :غادة غازي تاج جان ٥٢ : رسالة ( ماجستير ) بجامعة أم القرى : ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

(٦) وجوه من الإعجاز القرآني ٩١ .

( كروموسفير ) ، ثم طبقة الأصيل العليا ، وهي طبقة بيضاء تسمى الإكليل[١] .

وتتنوع مقادير الإشعاع الشمسي ، فمنها :الأشعة البنفسجية ، وتحت الحمراء، إضافة إلى ٤٥٪ ضوء وأشعة مرئية ؛ وهي التي تحدد الشمس بأنها سراج منير[٢] ؛ ومن هنا يتضح أن الشمس ليست قرصًا مضيئا ثابت الضياء ، وإنما هي سراج وهاج ؛ كما وصف القرآن .

وكان يعتقد أن الشمس في الكون واحدة ، حتى « اكتشف العلم الحديث ، أن مجرتنا ( سِكَّة التَّبَّانة أو دَرْب اللَّبَّانة ، أو الطريق اللَّبني ، التي تنتمي إليها شمنا ) تعد في حشد هائل هباءة منثورة ، في السماء الدنيا، التي لا يعلم حدودها إلا الله ـ تعالى ـ ، وهي تضم مئات البلايين إلى التريليونات من النجوم »[٣] .

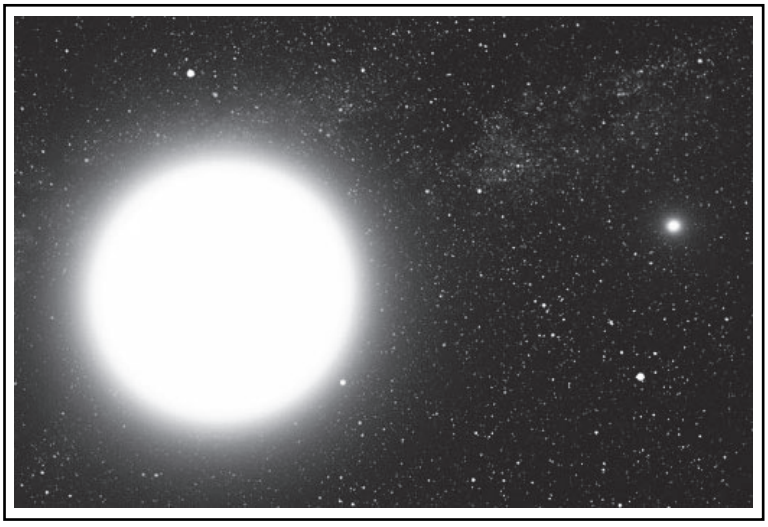

وليست الشمس أكبر ما في السماء من أجرام ، فهناك ملايين الملايين أكبر

---

(١) ( وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ) ص٥ .

(٢) وجوه من الإعجاز القرآني ٨٧ .

(٣) من أسرار القرآن ٢٠٠١/٩/٣م ، بتصرف .

من الشمس ، وأشد حرارة وضياءً ؛ فالشِّعْرى اليمانية أثقل من الشمس بعشرين مرة، ونورها يعادل خمسين ضعف نور الشمس ، والسِّمَاكُ الرَّامِحُ حجمه ثمانون ضعف حجم الشمس ، ونوره ثمانية آلاف ضعف ، وسُهَيْل أقوى من الشمس بألفين وخمسمائة مرة[١] ، « ولذا فالنجوم منها : نجوم النَّسَق العادي كشمسنا ، ومنها العماليق الْحُمْر ، والعماليق الكبار، ومنها المُسْتَعِرات وما فوقها، ومنها النجوم الزرقاء شديدة الحرارة[٢] ؛ حيث تبلغ شدة إضاءة النجم أكثر من مليون ضعف إضاءة الشمس[٣] .

ولعل الروعة في إعجاز القراءة المتواترة للكوفيين إلا عاصما ، التي جاءت بصيغة الجمع ( سُرُجاً ) ، تفصح عن تعدد المجرات ، بل النجوم التي تساوي شمسنا بل تفوقها . ومما حسن هذا الإعجاز وأكده أن صيغة الجمع في ( سُرُجاً ) ، على وزن فُعُل وهي من أوزان جموع الكثرة ، فهي مطابقة للكثرة الهائلة التي لا يحصيها عدد في المجرات ولا النجوم ؛ ولو أن الجمع جاء بلفظ أسرجة[٤] ، على وزن أفعلة كسلاح وأسلحة ، ونصاب وأنصبة ؛ لما دلت على الكثرة ؛ لأن أفعلة من أوزان جموع القلة .

ومن روائع الروعة ، أن ألفاظ سراج التي وردت في القرآن ، رسمت ( سِرَاجاً ) بألف مثبتة بين الراء والجيم ، إلا في موضع الفرقان الذي تنوعت قراءته متواترة بين الإفراد والجمع ؛ فكان رسمها ﴿ سِرَٰجًا ﴾ بغير ألف في هذا الموضع منفردًا ، فكانت

---

(١) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ٦٩ .

(٢) من أسرار القرآن ٣/ ٩/ ٢٠٠١م ، بتصرف .

(٣) السابق ٢٠ /٨/ ٢٠٠١م .

(٤) تكملة المعاجم العربية ٩٦/٢ .

الكلمة إعجازين في إعجاز: الدلالة على القراءتين المتواترتين ، والدلالة على كثرة السُّرُج التي اكتشفها العلم الحديث ، فسبحان من هذا كلامه ، وصلى الله على من نزل عليه ، ورضي عن من كتبوه ، وعن كل من قرءوه ودرسوا ما فيه !!.

**لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا :**

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس : ٣٨ ] .

قرأ الجمهور ( لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ) بلام مكسورة ، و « الجري حقيقته : السير السريع ، وهو لذوات الأرْجل ، وأطلق مجازاً على تنقل الجسم من مكان إلى مكان تنقلاً سريعاً ، بالنسبة لتنقل أمثال ذلك الجسم »(١) ، والْمُسْتَقَرّ موضع القرار(٢) .

والمعنى : « والشمس تجري لموضع قرارها ، بمعنى: إلى موضع قرارها »(٣) ؛ وبهذا « يحتمل أن تكون اللام بمعنى إلى ، أي : إلى مستقر لها ، وتقريره هو أن اللام تذكر للوقت ، وللوقت طرفان ابتداء وانتهاء ؛ يقال : سرت من يوم الجمعة إلى يوم الخميس ؛ فجاز استعمال ما يستعمل فيه في أحد طرفيه ؛ لما بينهما من الاتصال ؛ ويؤيد هذا قراءة من قرأ ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِى إِلَى مُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ »(٤) .

وعلى هذا ففي ذلك المستقر وجوه منها أن المراد به : يوم القيامة وعنده تستقر ولا يبقى لها حركة(٥) .

---

(١) التحرير والتنوير ١٩/٢٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٩ .

(٣) جامع البيان ٢٠/ ٥١٦ ، التحرير والتنوير ١٩/٢٣ .

(٤) وهذه القراءة : ( إِلَى مُسْتَقَرٍّ لَهَا ) بـ ( إِلَى ) بدل اللام ، غير منسوبة . ظ . البحر المحيط ٧/ ٣٢٢ .

(٥) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٦٣ ، البحر المحيط ٣٢١/٧ .

« وقال آخرون : معنى ذلك : تجري لمجرًى لها إلى مقادير مواضعها ، بمعنى : أنها تجري إلى أبعد منازلها في الغروب ، ثم ترجع ولا تجاوزه. قالوا: وذلك أنها لا تزال تتقدم كلّ ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع »[١] .

ولكي يتم تفسير الجري والمستقر علميا يلزم معرفة أن الشمس إحدى نجوم السماء ، ولها حركتها الذاتية ، ولها توابع من الكواكب والأقمار والمُذَنَّبَات ، تتبعها ، وتخضع لجاذبيتها ، وتدور حولها في مدارات ، وجميع أفراد المجموعة تنتقل مع الشمس ، خلال حركتها الذاتية ، في مدارات محددة ، واتجاهات متوازية ؛ لا يمكن أن تتلاقى ؛ وبهذا فالقمر ـ مثلا ـ يدور حول نفسه ، ويدور في نفس الوقت حول الأرض ، وفي الوقت ذاته تدور الأرض حول نفسها ، وحول الشمس ، ويدور هو والأرض حول الشمس ، ويدور هو والأرض والشمس حول مجرتنا : المجموعة الشمسية : سكة التبانة ، بسرعة تبلغ ٧٠٠كم في الثانية[٢] ، وتدور في نفس الوقت المجموعة الشمسية برمتها لمستقر لها ، هو مركز سديم المَجَرَّة ( : مجرة سكة التبانة ) فَيُتِمّ سائر أجزاء سَدِيم المجرة دورته حول المركز في حوالي ٢٠٠ مليون سنة ضوئية[٣] .

وبهذا يتضح أن الشمس تجري بتوابعها ، حول مستقر مركز السَّدِيم ، وهذا مما لا جدال فيه ؛ بِناء على ما أفرزته البحوث العلمية في أوائل القرن العشرين ، وأكدته الدراسات الفلكية الحديثة[٤] .

---

(١) جامع البيان ٢٠/ ٥١٧ .

(٢) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ٦٨ .

(٣) السابق ٦٥ ، ٦٦ ، وجوه من الإعجاز القرآني . مصطفى الدباغ ٨٤ .

(٤) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ٦٦ .

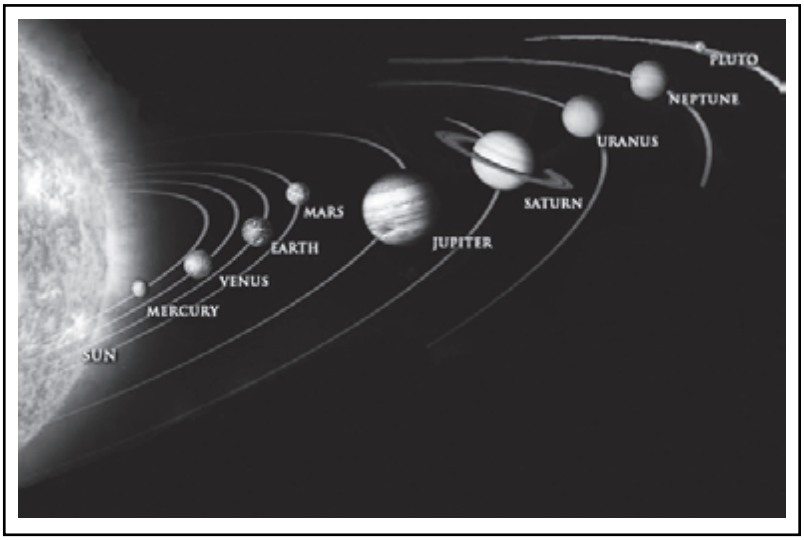


**ومن خلال ما سبق عرضه يمكن الوصول إلى النتائج التالية :**

١ـ قال الطبريّ في « ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ... كان بعض أهل العربية يوجه معنى [اللام] إلى « في « كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة »[(١)] ؛ فإذا اعتددنا اللام بمعنى ( في ) في « لمستقر لها » كان المعنى أن الشمس تجري أو تدور في مستقر لها ، حيث أكد العلم الحديث بما لا مجال لإنكاره ، أن الشمس تدور دورة كاملة في مستقر لها ، حول نفسها في ستة وعشرين يوما[(٢)] .

٢ ـ إذا اعتددنا اللام بمعنى إلى ـ وهو لفظ ما جاءت به قراءة إلى مستقر لها ـ أو لانتهاء الغاية ؛ وهو ما جاء عند الرازي [٥٤٤ – ٦٠٦ هـ] ونقله عنه أبو حيان الأندلسي [٦٥٤ ـ ٧٤٥هـ ] من قوله : « ففي ذلك المستقر وجوه : الأول : يوم القيامة وعنده تستقر [الشمس] ولا يبقى لها حركة »[(٣)] ؛ فالمعنى أن الشمس

(١) جامع البيان ١٨/ ٤٥١ .

(٢) القرآن والعلم : أحمد محمود سليمان ٢٨ .

(٣) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٦٣ ، البحر المحيط ٣٢١/٧ .

« تجري نحو مكان معين ، سوف تستقر عنده في النهاية ، وهذه الحقيقة من الحقائق التي يعد اكتشافها من مفاخر العلم الحديث »[١] ؛ إذ أوضح عالم الفلك الفرنسي بيير سيمون لابلاس [١٧٤٩ – ١٨٢٧م] ذلك قائلا : « لو سئلت : ما هي أعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري ؟ لقلت إنها الحقيقة التالية ، وهي : أن الشمس والكواكب السيارة وأقمارها ، تجري في الفضاء نحو برج النِّسْر بسرعة غير معهودة لنا على الأرض [٧٥٠ ميلا في الدقيقة] ولكي يتصور القارئ هذه الحقيقة ؛ فما عليه إلا أن ينظر إلى برج النسر الجميل ، ويتصور أننا نقترب منه عشرة أميال كل ثانية ، وأننا نقترب منه يوميا يما يقرب من مليون من الأميال ، وبما لدينا من معلومات عن هذه المسافة ؛ يمكننا القول: أن المجموعة الشمسية ، لن يكون في استطاعتها الوصول ، إلى المكان الذي يقع فيه هذا البرج الآن ، إلا بعد مدة تتراوح بين مليون ونصف مليون سنة ، من وقتنا الحاضر »[٢] .

أما قراءة : عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعكرمة ، وعطاء بن رباح ، وزين العابدين ، والباقر ، وابنه:الصادق ، وابن أبي عبلة : ( لا مستقرَّ لها ) نفيا ، مبنيا على الفتح[٣] ، فهي واضحة تؤكد ما في القراءة المتواترة من أن الشمس تجري ، فلا قرار لها ولا سكون ، ولا عائق لها ، ولا يعتريها فتور أو توقف.

وكان من أروع ما أسس لبيان الإعجاز في ما سبق أن القرآن عبر بلفظٍ جَمَع جوانب الإعجاز ، وهو ( مستقر ) ففيه الدلالة على أن الشمس تدور حول نفسها ، وحول مركز سديم المجرة ، وأنها تندفع ومعها توابعها إلى هدف معين تستقر عنده[٤] .

---

(١) القرآن والعلم : أحمد محمود سليمان ٢٨ .

(٢) السابق ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٢٢ .

(٤) ظ . القرآن والعلم : أحمد محمود سليمان ٢٩ .

ومع أن مجال البحث في القِراءات المتواترة ، إلا أنه استأنس بمشاركة غير المتواتر ، الذي لم يغب عنه أيضا اللمحة الإعجازية ؛ وليؤكد على أن ما عرف بالشاذ كان مما يقرأ به في حياة النبي ﷺ وأنه كان قرآنا يتلى قبل الحكم بعدم تواتره .

**المشرق والمغرب :**

قرأ الجمهور ( الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ) في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ [الشعراء :٢٨] بالإفراد . ومن الشاذ قرأ ابن مسعود رضي الله عنه والأعمش ( رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ) بالجمع(١) .

وقرأ الجمهور : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج : ٤٠] بالجمع، وهو المتواتر. ومن الشاذ قرأ: عبدالله بن صالح بن مُسْلِم العِجْلي، وأبو حَيْوة، وابن مُحَيْصن، وعاصم الجَحْدَري ، وحُمَيْد بن قيس : ( برب المشرق والمغرب ) على التوحيد(٢) .

و في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل : ٩] قرأ : ابن عامر ، ويعقوب ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وأبو بكر ( رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ) بخفض الباء في ( رب ) ، وبإفراد المشرق والمغرب .

وقرأ باقي العشرة : ( رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ) برفع الباء في ( رب ) ، وبإفراد المشرق والمغرب(٣) .

وقرأ عبدا الله : ابن مسعود ، وابن عباس رضي الله عنهم : ( رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ) برفع الباء في ( رب ) ، وبالجمع(٤) .

---

(١) مختصر ابن خالويه ١٠٦ ، روح المعاني ٧٣/١٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/١٨ ، البحر المحيط ٣٣٠/٨ .

(٣) النشر ١/ ٤٧٦ .

(٤) مفاتيح الغيب ٣٠/ ١٥٩ ، المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٩ .

والمَشْرِق : اسم مكان لشروق الشمس ، وقياسه المَشْرَق[١] ؛ قال ابن السكيت : المَشْرِقُ والمَشْرَقُ : المَطْلَعُ[٢] . والمَغرِبُ : مَوْضِعُ الغُروبِ ، وقياسُه الفتح ولكن استُعْمِل بالكسر كالمَشْرِق والمسجِد[٣] .

وقد ورد لفظا المشرق والمغرب في القرآن وقراءاته : مفردين ، ومثنيين ، ومجموعين ، ومن المثنى ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن : ١٧] .

وقبل الحديث عن الإعجاز فيهما ؛ يلزم معرفة كيفية حدوثهما ؛ حيث إنه من الثوابت العلمية دوران الأرض حول محورها ، وكذلك باقي الكواكب في المجموعة الشمسية ، في نفس الوقت الذي تدور فيه الأرض وتلك الكواكب حول الشمس ، ودوران الأرض يكون من الغرب إلى الشرق ، دورة كاملة في كل أربع وعشرين ساعة ؛ وهذا ما يجعل الشمس والنجوم تبدو لسكان الأرض مشرقة[٤] .

(١) لسان العرب ( شرق ) ١٠/١٧٣ .

(٢) المخصص ٩/ ٢٩ .

(٣) لسان العرب ( غرب ) ١/ ٦٣٧ .

(٤) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ٧٢ ، من أسرار القرآن ٢١/١٠/ ٢٠٠٢م .

ويرى بعض المفسرين أن جمع ( المشارق والمغارب ) باعتبار تعدد مطالع الشمس ومغاربها[١] ؛ فتشرق الشمس كل يوم من مشرق ، وتغرب من مغرب ، وكذلك القَمَرُ[٢] .

**وأثبت العلم الحديث حقائق مرتبطة بالشروق والغروب ، هي :**

١ـ أن ثمت دليلاً مؤكداً في تعدد المشارق والمغارب على كروية الأرض ، لأن الأرض لو كانت مسطحة أو مستوية ؛ لوجب أن يكون على سطحها شروق واحد ، وغروب واحد[٣] .

وقد تنبه إلى هذا الاستنتاج : الفخر الرازي [٥٤٤ – ٦٠٦ هـ] إذ قال « ثبت بالدليل أن الأرض كرة ، وأن السماء محيطة بها... وذلك لأنا إذا رصدنا كسوفاً قمرياً ؛ فإذا اعتبرناه ورأينا أن المغربيين قالوا حصل هذا الكسوف في أول الليل ، ورأينا المشرقيين قالوا : حصل في أول النهار ؛ فعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب ، هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق ، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا ، فهو وقت العصر في بلد ، ووقت الظهر في بلد آخر ، ووقت الضحوة في بلد ثالث ، ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ، ونصف الليل في بلد خامس »[٤] .

٢ ـ أن تعدُّد المشارق والمغارب ؛ يرجع إلى أن ضوء شروق الشمس ، الساقط على الأرض ، يتنقل على الأرض عكس دورتها ، عبر خطوط الطول

---

(١) التحرير والتنوير ١٧٩/٢٩ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٤/٥ .

(٣) الإعجاز العلمي والبلاغي ١١ .

(٤) مفاتيح الغيب ٢١/ ١٤٢ .

الوهمية ، وعددها ( ٣٦٠ ) خطا ، في أربع وعشرين ساعة ، بمعدل خط كل أربع دقائق ، محدثا في كل ثانية واحدة عددا من المشارق ، والضحى ، والزوال ، والمغارب المتعاقبة ، شمال الكرة الأرضية وجنوبها معا ، وبهذا تتعدد المشارق والمغارب على مدار الثانية الواحدة ، وليس على مدار اليوم الواحد[١] ؛ مما يشير إلى التعدد اللانهائي ، لمشارق الأرض ومغاربها يوما بعد يوم ، في كل لحظة أو موضع على سطح الأرض ، فالشمس في كل لحظة غاربة في نقطة ، ومشرقة في نقطة أخرى تقابلها[٢] .

٣ ـ أنه « لولا دوران الأرض حول محورها ؛ لتعرض نصفها لضوء الشمس مدة نصف سنة ، وحرم من الضوء تماما النصف الآخر ، وهذا مالا تستقيم معه الحياة »[٣] .

ولذلك « لم يقسم رب العزة ـ جل وعلا ـ في القرآن قسَماً بجهة غير المشرق والمغرب دون الشمال والجنوب ؛ مع أن الشمال والجنوب جهتان مشهورتان عند العرب ... ... وفي إيثار ( المشارق والمغارب ) بالقسم بربها رَعي لمناسبة طلوع الشمس بعد غروبها ؛ لتمثيل الإِحياءِ بعد الموت »[٤] .

* أما التثنية ؛ في المشرقين والمغربين ؛ فاللغويون والمفسرون على أنهما : مشرقا الصيف والشتاء[٥] ؛ « باعتبار أن الشمس تطلع في فصلي الشتاء والربيع من

---

(١) الإعجاز العلمي والبلاغي ١١ ، من أسرار القرآن ٢٠٠٢/١٠/٢١م .

(٢) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ٧٤ ، من أسرار القرآن ٢٠٠٢/١٠/٢١م .

(٣) من أسرار القرآن ٢٠٠٢/١٠/٢١م .

(٤) التحرير والتنوير٢٩/ ١٧٩ .

(٥) الصحاح ( شرق ) ١٨٦/٤ .

سمت ، وفي فَصْلي الصيف والخريف من سمت آخر ، وبمراعاة وقت الطول ووقت القصر ، وكذلك غروبها ، وهي فيما بين هذين المشرقين والمغربين ينتقل طلوعها وغروبها في درجات متقاربة »[١] .

ويفسر العلم الحديث ذلك بأن الأرض « انبعجت قليلا عند خط الاستواء ، واعْرَضَّت قليلا عند القطبين ، ونتيجة لذلك ؛ أصبح لكل من المشارق والمغارب العديدة نهايتان ، تمثلان أقصى زمانين ومكانين ، لكل من شروق الشمس وغروبها ، على أقصى بقعتين من بقاع الأرض ، تمثل كل منهما مرة أقصى الشروق ، ومرة أقصي الغروب ، ومن هنا كان للأرض مشرقان ومغربان »[٢] .

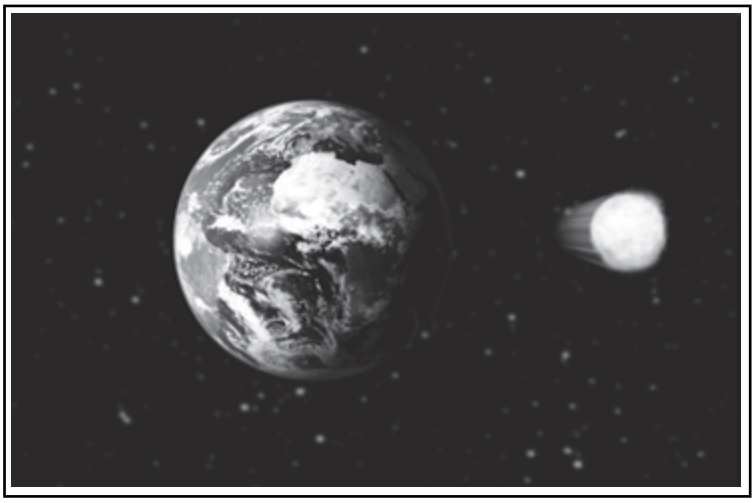

وتوضيح ذلك أنه « إذا رصدت الشمس بانتظام ابتداءً من أواخر ( آذار[= مارس] ) أي في الاعتدال الربيعي ( من نصف الكرة الشمالي ) فإنها تُرَى وهي

(١) التحرير والتنوير٢٧/ ٢٤٧ .

(٢) من أسرار القرآن ٢٠٠٢/١٠/٢١م .

تشرق ، في نقطة في الشرق على الأفق ، وكلما مر يوم رآها الراصد ، تشرق في نقطة أقرب إلى الشمال ، وفي أواخر ( يونيو = حزيران ) تُرَى مشرقة في مكان هو نهاية اقترابه من الشمال ، ثم تبدو الشمس بعد ذلك ، وهي تَقْفُل راجعة متبعة نفس التغيرات ، حتى أواخر ( سبتمبر = أيلول ) عند الاعتدال الخريفي ، حيث ترى مشرقة من المكان الذي أشرقت منه ، عند الاعتدال الربيعي ، ثم تبدو بعد ذلك مستمرة في الحركة نحو الجنوب ، حيث ترى مشرقة ، في أقرب نقطة إلى الجنوب ، في أواخر ( ديسمبر = كانون ثانٍ ) ثم تأخذ في الرجوع ظاهريا نحو الشمال ؛ حيث تكمل دورتها في الاعتدال الربيعي التالي ، ويستغرق ذلك كله ( ٣٦٥ ) يوما وربع يوم »[١] .

أما قراءة المشرق والمغرب بالإفراد ، فعلى أن للشمس مطلعاً واحداً ومغرباً واحداً ؛ تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة ثم ترجع إليه[٢] .

وكذلك كل الأجرام ، ترى مشرقة في الأفق الشرقي ، مع دوران الأرض من المغرب إلى المشرق حول محورها ، وغاربة في الأفق الغربي عند غروبها[٣] .

* * *

(١) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ٧٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ٣١/ ٦٦ .

(٣) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ٧٤ .

**المبحث الثالث**

# الفضاء الكوني

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥] .

قرأ ابن كثير ( سُكِرَتْ ) بتخفيف الكاف ، وقرأ الباقون ( سُكِّرَتْ ) بتشديدها(١) .

ومعنى الآية أن المشركين لو فتح لهم باب في السماء فصعدوا فيه ؛ لما صَدَّقوا ذلك ، ولاتهموا رؤيتهم بأنها كانت خيالا ، أو أن أبصارهم سدت فلم تر شيئا .

وذلك أن ( سُكِرَتْ ) من السَّكْر ، وأصل السَّكْر في اللغة : سد الطريق(٢) ؛ أو الشق ، أومُنْفَجِرِ الماء(٣) ، وكُلُّ شَقٍّ سُدَّ فقد سُكِرَ(٤) .

قال الزبيدي : « ويقال : سَكَرَ البابَ وسَكَّرَهُ ، إذا سَدَّه ، تَشْبيهاً بسَدِّ النَّهْرِ ، وهي لغة مَشْهُورَةٌ ... قال شيخنا : هي فاشِيَةٌ في بَوَادِي إِفْرِيقِيَّةَ ، ولعلَّهُمْ أَخذوها من تَسْكِيرِ الأَنْهَارِ »(٥) .

وعلى هذا يكون المعنى أن أبصارهم سُدَّت ؛ فلم تر شيئا ، وتكون القراءة

---

(١) النشر ٣٠١/٢ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٠/ ٨٨ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٨٩ .

(٤) لسان العرب ( سكر ) ٣٧٢/٤ .

(٥) تاج العروس ( سكر ) ٦٧/١٢ .

المخففة بمعنى المشددة ؛ فإن التخفيف يصلح للقليل والكثير[١] ، أو أن سُكِرَتْ وسُكِّرَتْ ، بالتخفيف والتشديد ، معناهما : أُغْشِيَتْ وسُدَّتْ بالسِّحْر[٢] .

ومع أن القرآن يذكر ما سبق على سبيل الافتراض ، مصورا حال المعاندين من المشركين ، إلا أن صياغة القرآن بقراءتيه ( سُكِرَتْ أَبْصَارُنَا ) و ( سُكِّرَتْ ) جاءتا على أعظم جانب من الدقة العلمية ؛ وروعة الإشارة الإعجازية ، **وذلك** :

أن الإنسان نجح في ارتياد الفضاء في مطلع الستينيات من القرن العشرين ، ففوجئ بحقيقة علمية تؤكد ما أشار إليه القرآن ، وهي : أن الإنسان إذا صعد في الفضاء على ارتفاع مائتي كيلومتر فوق مستوى سطح البحر ؛ يكون قد انتهى إلى آخر حزام ضوء النهار ، على سطح الكرة الأرضية المواجه للشمس[٣]، فإذا ارتفع أكثر من ذلك ؛ فسيظهر له ضوء الشمس على هيئة قرص أصفر ، في صفحة سوداء ، حالكة السواد ، لا يظهر في سوادها الحالك إلا بعض البقع الزرقاء الباهتة، في مواقع النجوم ، وبهذا يكون الجزء الذي يتجلى فيه النهار ، على الكرة الأرضية محدودًا طولا وعرضا بنصف مساحتها ، وسمكه على الأرض لا يتعدى مائتي كيلومتر ، وما فوق ذلك وما حوله ـ أيضا ـ من الكون ظلام شامل ، مما يؤكد أن الظلام هو الأصل في الكون[٤] .

---

(١) اللباب لابن عادل ٤٣٦/١١ .

(٢) تاج العروس ( سكر ) ٦٥/١٢ .

(٣) من أسرار القرآن ٢٠٠١/٧/٣٠م .

(٤) السابق ، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١٦٧وما بعدها .

ولما صعد رواد الفضاء إلى ما بعد منتهى حزام ضوء النهار ؛ وفوجئوا بالظلام الكوني واقعين فيه ؛ عبروا تعبيرا يدل على ما أشار إليه القرآن ، من : سد الأبصار ، والغشاوة التي عليها ، وحيرتها من المفاجأة كأنها سحرت ، دون أن يعلم هؤلاء الرواد ، أن القرآن قد تعرض لذلك بألفاظ في منتهى الدقة ، وأصدق الدلالة ، في التعبير عن ما حدث لهم(١) ، وما وصفوا به حالهم .

## أ ـ التصعد في السماء

قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

* قرأ ابن كثير : ( يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصْعَد ) : ( ضَيْقاً ) بإسكان الياء مخففة ( حَرَجاً ) بفتح الراء ، ( يَصْعَد ) بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف قبلها .

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١٦٩وما بعدها ، مجلة الحقيقة العدد١٢ ، ص٧ .

* وقرأ المدنيان [نافع وأبو جعفر] : ( يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَـرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّد ) : ( ضَيِّقاً ) بتشديد الياء ( حَـرِجاً ) بكسر الراء ، ( يَصَّعَّد ) بتشديد الصاد والعين من غير ألف.

* وروى أبو بكر عن عاصم : ( يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَـرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّاعد ) : ( ضَيِّقاً ) بتشديد الياء ( حَـرِجاً ) بكسر الراء ، ( يَصَّاعد ) : بتشديد الصاد ، وألف بعدها ، وتخفيف العين .

* وقرأ الباقون [ : أبوعمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص ] : ( يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّد ) ( ضَيِّقاً ) بتشديد الياء ، ( حَرَجاً ) بفتح الراء ، ( يَصَّعَّد ) بتشديد الصاد والعين من غير ألف[١] .

والضَّيْقُ : تخفيف الضَّيِّق[٢] ؛ وخفف بحذف الياء الثانية ، التي بسببها حدث الثقل ، فوق ثقل الكسر[٣] ، وهما لغتان كمَيِّت ومَيْت[٤] ، وقيل : التشديد في الأَجْرام ، والتخفيف في المعاني[٥] .

أما حـرِجا : بفتح الراء وكسرها ؛ فهما لغتان مشهورتان[٦] ، بمعنى واحد ، هو الضِّيق ، وأصل معنى الحَرَج : مجتمع الشيء ؛ ومنه قيل للضِّيق حَرَج ، وقيل : أصل معناه شدة الضِّيق ؛ فان الحَرَجة غيضة أشجارها ملتفة[٧] .

---

(١) النشر ١/ ٣٢٧ .

(٢) لسان العرب ( ضيق ) ٢٠٨/١٠ .

(٣) الكشف ٤٥٠/١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٨١ .

(٥) إتحاف فضلاء البشر ٢٧٣ .

(٦) جامع البيان ١٠٦/١٢ .

(٧) روح المعاني ٢٢/٨ .

وقيل المفتوح مصدر والمكسور اسم فاعل ؛ فعلى المصدر يكون الوصف به مبالغة ، بمعنى : يجعل صدره ضِيق الضِّيق ، وعلى اسم الفاعل يراد به المتزايد في الضيق ، والمعنى : يجعل صدره أضيق الضِّيق ؛ فهو أخص من الوصف بالمصدر ؛ لأن كل حَرِج ضَيِّق ، لا العكس[١] .

وعلى هذا يكون هناك تكرير في المعنى ، في اللفظين : الحرج ، والضيق ؛ لوجود دلالة الضيق في كل منهما ، لكن الذي حسن هذا التكرير اختلاف اللفظ[٢] .

واختلف في كسر الراء وفتحها ؛ عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣] ؛ « فقال عمر: ابغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيًا ، وليكن مُدْلِجِيًّا ، قال: فَأَتَوْه به ؛ فقال له عمر: يا فتى ، ما الحَرَجة؟ قال: « الحَرَجة » فينا ، الشجرة تكون بين الأشجار ، التي لا تصل إليها راعيةٌ ، ولا وحشيَّة ، ولا شيء ؛ فقال عمر: كذلك قلبُ المنافق ؛ لا يصل إليه شيء من الخير »[٤] .

أما : ( يَصْعَد ، يَصَّاعد ، يَصَّعَّد ) ؛ فالأول مضارع صَعَدَ ، و ( يَصَّاعد ) مضارع تصاعد ، بعد دخول ياء المضارعة ، أدغمت التاء في الصاد تخفيفا[٥] ، وأما ( يَصَّعَّد ) فمضارع تصعَّد ، دخلت عليه ياء المضارعة ، وأدغمت التاء ـ أيضا ـ في الصاد ، وكل هذه القِراءات متقاربات في المعنى[٦] ، يرجع أصلها جميعا إلى

---

(١) اللباب لابن عادل ٤١٨/٨ ، ظ . الكشف ٤٥٠/١ .

(٢) الكشف ٤٥٠/١ .

(٣) الكشف ٤٥١/١ .

(٤) جامع البيان ١٠٤/١٢ .

(٥) إتحاف فضلاء البشر ٢٧٣ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٨٢/٧ .

( صَ عَ دَ ) التي قال عنها ابن فارس في أصل دلالتها : « الصاد والعين والدال أصلٌ صحيحٌ ، يدلُّ على ارتفاعٍ ومشقّة »[١] .

ويقصد بالسماء ما في عرف اللغويين وهي : كلُّ ما عَلاكَ فأَظَلَّكَ[٢] ، والمعنى « أن الإنسان إذا كلف الصعود إلى السماء ؛ ثَقُل ذلك التكليف عليه ، وعَظُم ، وصَعُب عليه ، وقَوِيت نُفْرته عنه ؛ فكذلك الكافر ، يثقل عليه الإيمان ، وتعظم نفرته عنه »[٣] .

وبهذا فإن الثلاثة الأفعال ، تدل على أن صاحب هذا الفعل يرتفع إلى أعلى ، مصحوبا بمشقة ، مع تفاوت في درجات المشقة في تلك الأفعال تبعا لصيغها ، فهي في يَصْعَد تدل على الصعود الذي فيه المشقة ، وهو ضد الحُدُور الذي فيه الراحة[٤] .

ويَصَّاعد : بوزن يتفاعل :وتلك الصيغة تدل على فعل شيء بعد شيء ؛ لأن الله ـ تعالى ـ « شبه الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه ، بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه ؛ كما أن صعود السماء لا يطاق »[٥] ؛ فمن يفعل ذلك يتعاطى الصعود ويتكلفه[٦] . وأم يَصَّعَّد ؛ فهي بوزن يتفَعَّل ، وهذه الصيغة مثل صيغة يتفاعل ( يَصَّاعد ) « ومعناه أن الكافر يتكلف ما لا يطيق شيئا بعد شيء ؛ كقولك : يَتَجَرّع ويَتَفَوّق »[٧] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٨٧ .

(٢) لسان العرب ( سمو ) ١٤/ ٣٩٧ .

(٣) مفاتيح الغيب ١٣/١٥٠ .

(٤) ظ . معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٨٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٧/٨٢ .

(٦) إتحاف فضلاء البشر ٢٧٣ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٨٢ .

وكان من الممكن أن يعبر القرآن بمرادفات يصعد ، نحو : « يعلو » أو « يتعالى » أو غير ذلك ، لكنها إذا أفادت العلو لا تفيد المشقة ؛ ولذا كان في تعبير القرآن بتلك الأفعال ، المشتقة من الصعود أو التصعد ، ما يدل على الثقل في جميعها والشدة ، التي تبدو في صوت الصاد الذي يوصف بعدد من صفات القوة التي منها : التفخيم ، والإطباق ، والاستعلاء ، مع ما في صوت الدال من الغلق الذي في صفة الشدة ، وكأن الأبواب سدت في وجه من قُصِد بذلك !! ويتوسط كلا من الصاد والدال : صوت العين الذي نضح عليه كل من الصاد والدال ؛ فأفاد معنى الشدة معهما ؛ إذ إن المواد المعجمية التي توسطت فيها العين بلغت مائتين وثمانية ، جاء ما يقرب من ربعها في معنى الشدة والعلو ، وكان منه مادة ( صعد )[١] ؛ مما يدلل على أنها لا يقوم مقامها غيرها .

والإعجاز فيها ـ أيضا ـ أن المشقة البالغة في دلالتها في جميع قراءاتها ، تبدو من معانيها في صيغها ، على ما سبق بيانه ، فوق المشقة التي صنعتها مضايق الضيق في صدر الكافر « فهو : مغلق ، مطموس ، يجد العسر والمشقة في قبوله ( كأنما يصعد في السماء ) وهي حالة نفسية تجسم في حالة حسية ، من ضيق النفس ، وكربة الصدر ، والرهق المضني في التصعد إلى السماء ! وبناء اللفظ ذاته [ يَصَّعَّد ، يَصَّاعد ] فيه هذا العسر والقبض والجهد ، وجرسه يخيل هذا كله ، فيتناسق المشهد الشاخص ، مع الحالة الواقعة ، مع التعبير اللفظي في إيقاع واحد »[٢] .

ومن وجوه الإعجاز العلميّ في الآية : إشارتها إلى إمكانية صعود الإنسان إلى السماء ، وتعد هذه الإشارة إخبارًا عن حقيقة وقعت في هذا الزمان ، حيث صعد الإنسان إلى طبقات الجو العليا متسلقا الجبال الشاهقة كجبال الهملايا ( ارتفاعها

---

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها٢٢٢ .

(٢) في ظلال القرآن ٣ / ١٢٠٣ .

٣٠ ألف قدم ) وفي أجواء الفضاء ، عبر البالونات والطائرات الشراعية والنفاثة ، وعبر الصواريخ العملاقة ، وسجلت الدراسات العلمية بدقة متناهية التغيرات الفسيولوجية ، لأعضاء من يصعد ، وأثر الصعود عليه ، من الضيق المتدرج الذي يصل عند ارتفاع معين ، إلى أشد أنواع الضيق ، يليها مرحلة الانغلاق ، وهي أضيق الضيق ، والآثار المترتبة من ذلك على أجهزة الجسم ، من صعوبة التنفس واضطراب القلب والدورة الدموية ، التي يعاني منها المتصعد في السماء ، فضلا عن أنها تزداد نسبتها مع درجات الارتفاع ، بسبب أن كوكب الأرض محاط بطبقة من الغازات أهمها ( الأوكسجين ) وهذا الغاز يقل كلما ارتفعنا عن سطح الأرض ، حتى ينعدم تماما على بعد معين ، مما يفرض على الطيارين الذين يرتفعون إلى علو شاهق ، وضع أقنعة من الأوكسجين ؛ لئلا يصابوا باختناق[١] .

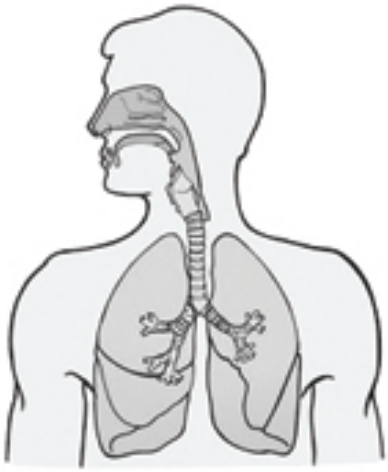

ولأن الجهاز الدوري يشارك الجهاز التنفسي في تبادل الغازات خارج وداخل

---

(١) إعجازات حديثة ٢٢ ، ضيق الصدر والتصعد في السماء د : ( طبيب ) عبد الجواد الصاوي مجلة الإعجاز العلمي العدد ١٠ ، ص١١ رجب ١٤٢٢هـ ( بتصرف ) .

الجسم وأن مكونات الجهاز التنفسي الرئيسة موجودة داخل منطقة الصدر ؛ كان التعبير القرآنيّ دقيقا في تحديد مكان الضيق في الارتفاعات العالية بأنه في عموم الصدر وليس في أعضاء التنفس فقط(١) .

كما أن التعبير بالصيغ ، التي تدل على التدرج في المشقة في ( يَصَّعَّد ويَصَّاعد ) وما أوضحه المفسرون ، من أن الضِّيق متدرج التضييق ، على ما فُسِّر ( ضَيِّقًا حَرَجًا ) بأنه ضيق بعد ضيق .

كل هذا « يتطابق علميًّا ، مع ما يشعر به الصاعد في أجواء السماء ، من ضيق متدرج في التنفس ؛ يزداد كلما زاد الارتفاع إلى أعلى... وقد سجلت المراجع الطبية ... أن صعود الإنسان فوق مستوى ارتفاع ٢٩ ألف قدم ، ازداد عنده شدة ضيق التنفس ، وكربة الصدر ؛ نتيجة لتوقف سريان ( الأكسجين ) إلى الدم وانغلاق تام ، إلى أن يصاب بصدمة عصبية ، وغيبوبة تنتهي به إلى الموت المحقق ، وهذا الضيق هو ضيق حقيقي متدرج للقفص الصدري »(٢) .

وهذه الحقائق العلمية ، التي ألمحت إليها الآية الكريمة ، لم تعرف إلا خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، حينما اكتشف ( بليز باسكال [١٦٢٣-١٦٦٢م] ) الفرنسي عام ١٦٤٨م أن ضغط الهواء يقل ؛ كلما ارتفعنا عن مستوى سطح الأرض ، وزاد ذلك وضوحا في القرن العشرين ؛ بعد ربط أبحاث وظائف أعضاء جسم الإنسان بصعوده ؛ في طبقات الجو العليا ، التي عرفت - فيما بعد - بطب الطيران(٣) .

---

(١) ضيق الصدر والتصعد في السماء ١١ .

(٢) السابق ١٣ .

(٣) نفسه .

## ب ـ الرِّيَاح اللَّواقِحُ

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ [الحجر:٢٢] .

قرأ : حمزة ، وخلف العاشر ( الرِّيحَ لَوَاقِحَ ) : بإفراد الريح ، لواقح اسما مجموعاً بوزن فواعل .

وقرأ باقي القراء العشرة [ : الحَرَمِيُّون ، والبصريان ، وابن عامر وعاصم ] : ( الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ) ، بجمع الريح ، لواقح اسما مجموعاً بوزن فواعل .

وقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ( الرِّيحَ تَلْقَحُ ) بإفراد الريح ، تلقح فعلا مضارعا[١] . ويقصد بالريح : الهواء إذا تحرك[٢] . ومعنى لواقح : حوامل ؛ لأنها تحمل : الماء ، والتراب ، والسحاب ، والخير ، والنفع[٣] .

ولواقح جمع لاقحة ، من لقح الثلاثي[٤] ؛ لكن المشهور في الاستعمال العربيّ ألقح، يقال : أَلْقَحَتِ الريحُ السحابةَ والشجرة ونحو ذلك ، في كل شيء يُحْمَل[٥] ، واسم الفاعل من ذلك مُلْقِحة ؛ لأن فعله رباعي على أفعل ، وقياس جمعه ملاقح ؛ لأن الريح تُلقِح السحاب ؛ فتستدِرّه[٦] .

---

(١) المحرر الوجيز ٣٥٤/٣ .

(٢) المعجم الوسيط ٣٨١/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠ .

(٤) القاموس المحيط ( لقح ) ١/ ٣٠٦ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٢٦١/٥ ، لسان العرب ( لقح ) ٥٧٩/٢ .

(٦) لسان العرب ( لقح ) ٥٧٩/٢ .

ويجوز أن يكون لواقح بمعنى ملاقح ، على أنه جمع مُلْقِحة ومُلْقِح ، ثم حذفت زوائده ؛ على ما يرى أبو عبيدة[١] .

أو على لقِحتْ هي ؛ فإذا لقحت فزكت ألقحت السحاب ؛ فيكون هذا ممَّا اكتُفِي فيه بالسبب من المسبَّب[٢] .

وأَصل اللِّقاح للإِبل ؛ ثم استعير في النساء ؛ فيقال : لَقِحَتِ إِذا حَمَلَتْ[٣] ، « واللام والقاف والحاء أصلٌ صحيح ، يدلُّ على إحبال ذكرٍ لأنثى ، ثم يقاس عليه ما يشبّه ، منه لِقاح النَّعَم والشَّجر ، أمَّا النَّعَم فتُلقِحها ذُكْرانُها ، وأمَّا الشَّجر فتُلْقِحه الرِّياح »[٤] .

والمقصود بالريح المفردة ، في القراءة الأولى والثالثة : الجمع ، كما في القراءة الثانية ؛ لأنها وإن وُحِّد الريح فيها فمعناها الجمع ؛ لأنها موصوفة بالجمع في قوله : ( لواقح ) ؛ ولأنه يقال: جاءت الريح من كل وجه ، وهبت من كل مكان ، كقولهم: أرضٌ سَبَاسِب ، وثوبٌ أَخْلاق[٥] ؛ والعرب تفسر اللَّواقِحُ من الرياح بأنها : التي تَحْمِلُ النَّدَى ثم تَمُجُّه في السحاب ؛ فإِذا اجتمع في السحاب صار مطراً[٦] .

وفي التعبير بـ ( لواقح ) « تشبيه لتأثير الرياح الباردة في السحاب ، بما يكون

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠ ، لسان العرب ( لقح ) ٥٧٩/٢ .

(٢) الخصائص ٢٢٠/٢ .

(٣) لسان العرب ( لقح ) ٥٧٩/٢ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٢٦١/٥ .

(٥) جامع البيان ٨٤/١٧ .

(٦) لسان العرب ( لقح ) ٥٧٩/٢ .

سببا لنزول المطر ، بتلقيح ذكور الحيوان لإناثه »[١] .

والذي انتهت إليه الحقائق العلمية ، أن التلقيح يتم بأن « تنقل الرياح البخار ؛ الذي يتكاثف ، بعد أن تصل حالته إلى ما بعد التشبع ، مكونة السحب ، التي يشحن فيها نقط المطر الصغيرة المتكاثفة بالكهرباء الموجبة ، بينما تنفصل الكهرباء السالبة ، التي تحملها الرياح ، وبعد مدة تصير السحب مشحونة شحنا وافرا بالكهرباء ، فإذا اقتربت الشحنتان بواسطة الرياح مرة أخرى ؛ يتم التفريغ الكهربائي ؛ بمرور شرارة بينهما ( : البرق ) ثم تظهر نقط كبيرة من الماء ؛ تسقط على الأرض[٢] » .

فالرياح وَلَّدت الكهرباء بنوعيها السالبة والموجبة في السحب ، ثم سببت تلقيح بعضها ببعض ؛ فأُنْزِل المطر ؛ بقدرته ـ تعالى ـ[٣] .

ومن ما يؤكد أن الرياح لواقح في المطر ، أنه عقب قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال : ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ مما يؤكد أن التلقيح علاقته مباشرة بإنزال المطر ، ومؤكدة.

وفي هذا أكبر دليل ، على أن في ألفاظ القرآن وقراءاته ، ما يدل على ذلك المعنى ويؤيده ؛ لأن المعنى لا يُؤَدَّى إلا بلفظ ( لواقح ) على ما سبق بيانه من تلقيح بالفعل ، بين موجب وسالب الذي يمثل الذكورة والأنوثة في الكهرباء ؛ فالسحب حين تتجمع يتفرق السالب منها بعضه عن بعض ، فتقوم الرياح بتزويج السحب السالبة للموجبة ، مقربة بعضها من بعض... ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾ [النور:٤٣] فتحتك كل

---

(١) تفسير المنار ١/ ١٧٦ .

(٢) وجوه من الإعجاز القرآني ١٠١بتصرف ، ظ . الكون والإنسان بين العلم والقرآن ١٠٥ .

(٣) المصدران السابقان .

منهما بالأخرى ؛ فيحدث البرق ثم المطر[١] .

ويؤكد البحث العلميّ الجغرافي الحديث ، أن أحدث تقسيم للسحب ، يتوقف على نوع الرياح التي كونته[٢] .

ومن أعجب ما ذكر في ما سبق ، أن يتنبه العربي إلى أن التزاوج لا يكون إلا بين الرياح المختلفة الشحنات ؛ قبل أن يفسر العلم ذلك بمئات السنين ؛ في أدق عبارة نقلتها كتب التراث ؛ إذ فيها : « العرب تقول : لا تَلْقَحُ السحابُ إلاَّ من رياح مختلفة »[٣] .

وكَوْن الرياح لواقح في النبات مشاهد واقعا ؛ وإن كان لم يكتشف إلا في أوائل القرن التاسع عشر بعد اختراع المجهر ؛ إذ تبين أن للرياح دورا في حمل

---

(١) الإعجاز العلمي والبلاغي ٧٦ ، ٧٥ ، ظ . المياه والرياح في القرآن الكريم ١٧٦ .

(٢) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ١٠٥ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر٢/٢٧٢ ، لسان العرب ( روح ) ٢/٤٥٥ ، روح المعاني ٢١/٥١ ، تاج العروس ( روح ) ٦/٤١٣ .

غبار الطلع أو حبوب اللقاح ؛ لتلقيح الأزهار ؛ من النباتات المذكرة إلى النباتات المؤنثة[١] .

« ولما اهتدى علماء أوروبة إلى هذا ، وزعموا أنه مما لم يسبقوا إليه من العلم ؛ صرح بعض المطلعين على القرآن منهم بسبق العرب إليه ؛ قال مستر ( أجنيري ) المستشرق الذي كان أستاذا للغة العربية في مدرسة أكسفورد في القرن الماضي : « إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تَلْقَح الأشجار والثمار ؛ قبل أن يعلمها أهل أوروبة بثلاثة عشر قرنا .

نعم إن أهل النخيل من العرب كانوا يعرفون التلقيح إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها ، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك »[٢] .

ومما سبق عرضه ، يتبين أن لفظ لواقح هو أدق الألفاظ ، وأدلها على ما تقوم به الرياح من تلقيح للسحب والنبات ، وقد سجل القرآن الكريم سبقه المتفوق ، في كل ذلك ، مبينا بأوفى لفظ وأدق مدلول ، ما جاء من اكتشافات علمية في ذلك .

* * *

(١) الكون والإنسان بين العلم والقرآن ١٠٣ ، إعجازات حديثة ٢٥ .

(٢) تفسير المنار ١/ ١٧٦ .

## المبحث الرابع

# الأرض

**مهد ، مهاد :**

في قوله – تعالى – : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ [طه: ٥٣ ، الزخرف : ١٠].

قرأ الكوفيون [ : عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ] ﴿ مَهْدًا ﴾ بفتح الميم وإسكان الهاء ، من غير ألف في الموضعين ، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها فيهما(١) ، والقراءتان متواترتان .

وفي قوله ـ تعالى ـ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَدًا ﴾ [النبأ : ٦] قرأ الجمهور : مهادا بكسر الميم وألف بعد الهاء ، وهي المتواترة بإجماع من القراء العشرة وهي توافق رُءُوس الآيات التالية ﴿... أَوْتَادًا ... أَزْوَاجًا ...﴾ ، وهذا في مقابل القراءة غير المتواترة : مهْداً: بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف في سورة النبأ ، لكل من : مجاهد بن جبر ، وعيسى بن عمر البصري ، وعيسى الهَمْداني الكوفي(٢) .

وبهذا يكون كل من : مهد ومهاد وصفان للأرض ، ومادتهما الأصلية ( مهد ) قال ابن فارس : « ( مهد ) الميم والهاء والدال كلمةٌ تدلُّ على توطئةٍ وتسهيلٍ للشّيء »(٣) ؛ والمِهَاد : اسم كالفراش ، والبساط(٤) ، وهو : الوِطاء من كلِّ شي(٥)

---

(١) النشر١/ ٣٩٨ .

(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٠٣ ، معجم القراءات للخطيب ٢٦٢/١٠ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٨٠ . وذلك لأن أصل المهد التوثير ، ظ . تهذيب اللغة ١٢٧/٦ .

(٤) في: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَشًا ﴾ [البقرة : ٢٢] و ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح : ١٩] ، الكشف ٩٧/١ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٨٠ .

أو: ما وُطِّيء للنوم ، والجمع أمهِدَةٌ ومُهُدٌ[١] ، وقيل : مهاد جمع مَهْد ، وهو الموضع المهيأ للنوم[٢] . والمهد مصدر كالفرش ، والجمع مُهودٌ[٣] ، وفعله مقدر في جعل ، والتقدير : مهد لكم الأرض مهدا ، أوهي ذات مهد[٤] .

وقال الأَزهريّ : « المِهادُ اسم أَجمع من المَهْد[٥] ، كالأَرض جعلها الله مِهاداً للعباد ، وأَصل المَهْد التَّوْثِيرُ ، يقال : مَهَدْتُ لنَفْسي ومَهَّدت ، أَي : جعلت لها مكاناً وَطيئاً سهلاً »[٦] .

ومن العلماء من يفرق بين المهد والمهاد ؛ ومنهم من يجعلهما مصدرين بمعنى[٧] ، واعترض على التفريق بينهما أبو جعفر الطبري ؛ إذ قال : « وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك ، أنه إنما اختاره من أجل أن المِهاد: اسم الموضع ، وأن المهد الفعل ، قال: وهو مثل الفرش والفراش »[٨] .

وتعبير القرآن بـ ( جعل ) التي تدل على التحويل حقيقة أو حكما[٩] ، يدل على أن الأرض في أول أمرها لم تكن ممهدة ، بدليل :

* أن « العلم أثبت أن الأرض لم تكن في بداية تكونها فراشاً أو مهاداً أو قراراً

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٤/ ٢٧٥ .

(٢) الكشف ٩٧/١ ، البحر المحيط ٢/ ١١٨ .

(٣) المحكم ٢٧٥/٤ .

(٤) الكشف ٩٧/١ .

(٥) تهذيب اللغة٦/ ١٢٧ ، لسان العرب ( مهد ) ٣/ ٤١٠ .

(٦) لسان العرب ( مهد ) ٣/ ٤١٠ .

(٧) إتحاف فضلاء البشر ٣٨٣/١ .

(٨) جامع البيان ٣٢٠/١٨ .

(٩) المعجم الكبير٣٧٩/٤ .

يمكن أن تنشأ عليها حياة ، ثم صارت بعد ذلك كذلك ، وتحقق كونها فراشاً ومهاداً ؛ بتكون السطح الصخري الخارجي لها ، من سهول وهضاب وجبال ، وجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا السطح بهيئة منبسطة مسطحة ممهدة ، وجعل لها سهولاً واسعة الامتداد ؛ تصلح للحياة التي قدرها فيها ، ممهدة للسير والحرث والزرع والنماء والحياة »[١] ، ويؤيد هذا ما قرره العلماء من:

* « أن الأرض مرت بتطورات كثيرة ، من صخرية ( طبقة السيال الخارجية ، طبقة السيما السفلية ) إلى تربة صالحة للزراعة ؛ ذات قشرات بنسبة معينة »[٢] .

* « أنه بالاستضاءة بمفهوم تحرك ألواح الغِلَاف الصخري للأرض ؛ وصلت الدراسات الحديثة ؛ إلى أن الأرض بدأت بمحيط غامر ، بقاعه ألواح صخرية نمت بالتدريج إلى عدد من القارات[٣] ، وأصبح سطح الأرض ، على درجة من وعورة التضاريس ، لا تسمح بعمرانها ، ثم بدأت عمليات التحات والتعرية ، في بَرْي المجموعات الجبلية ، والأخذ من ارتفاعاتها ، ونَقْل الفُتَات الصخري الناتج عن البَرْي ، إلى أحواض المحيطات والبحار ، وهذه الدورة للصخور لا تزال تتكرر ملايين المرات إلى يومنا الراهن ؛ لتكسو منخفضات الأرض بالتربة اللازمة للإنبات والزراعة ، ولتركز العديد من الثروات المعدنية ، ولتزيد من ملوحة البحار والمحيطات ، حتى تجعلها صالحة لحياة البلايين ، من الكائنات الحية ؛ ولتحفظ هذا الماء من الفساد ؛ وَلِتَرَكُّزِ معادن المتبخِّرات في صخور الأرض... أدى ذلك

---

(١) الأرض فراشاً والسماء بناء : مقالة من إعداد اللجنة العلمية بهيئة الإعجاز العلمي : مجلة الإعجاز العلمي : العدد ٨ ص٤٧ شوال ١٤٢١هـ

(٢) السالق ٤٢ ، الإعجاز العلمي والبلاغي ٧٧ .

(٣) مثلما حدث في توسنامي ٢٤ /٢٠٠٧/٨م في جنوب شرق آسيا ، من اختفاء بعض الجزر ، وظهور جزر أخرى .

( بتقدير من الخالق ـ سبحانه وتعالي ـ ) إلى بناء القارات ، التي كانت في بادئ الأمر جبلية وعرة ، لا تسمح بعمرانها ، ثم بدأت عوامل التعرية ، في الأخذ من الجبال الشاهقة بالتدريج ؛ حتي حولتها إلى السهول الواسعة ، والهضاب والنجود المنخفضة والأودية المحفورة ؛ التي تشكل أواسط القارات اليوم ؛ فوصلت الأرض إلى صورتها المناسبة للعُمْران ، بواسطة الإنسان .

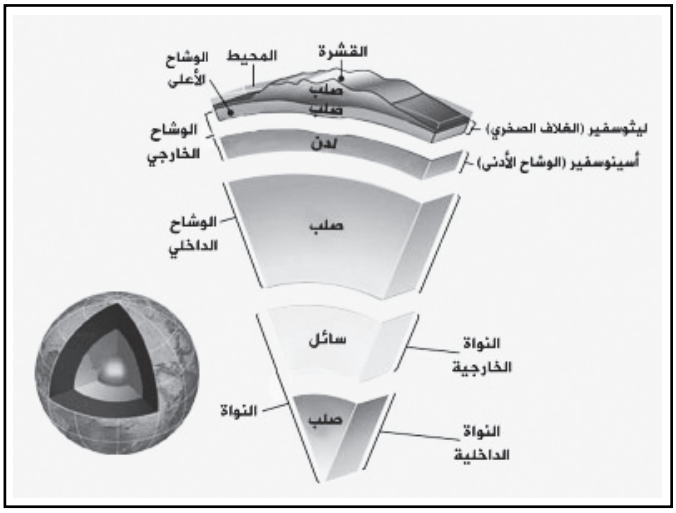


كذلك فإن الأدلة العلمية التي تراكمت ، على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين، تشير إلى أن الغِلَاف الصخري للأرض ، في حالة توازن تام ، وإذا تعرض هذا التوازن إلى الاختلال ، في أية نقطة على سطح الأرض ، فإن تعديله يتم مباشرة .

ومن هذه الأدلة ، أن القشرة الأرضية تنخفض إلى أسفل ، على هيئة منخفضات أرضية ، عند تعرضها لأحمال زائدة ، وترتفع إلى أعلى على هيئة نتوءات أرضية ، عند إزالة تلك الأحمال عنها ، ويتم ذلك بما يسمي باسم : التضاغط والارتداد التضاغطي ؛ الذي يتم من أجل المحافظة على الاتزان الأرضي »[١] .

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠١/١٢/٣١م . بتصرف

* أن الأرض هي الكوكب الوحيد ، الذي يصلح للحياة : ينمو عليها النبات ، ويعيش عليها الإنسان والحيوان[١] ، ويؤكد هذا أن رواد الفضاء لما صعدوا إلى القمر ؛ وجدوا أنه لا يمكن أن يعيش أحد على سطح القمر ، وتُلَبَّى احتياجاته ، كما يعيش على الأرض.

* إضافة إلى أن الله ـ تعالى ـ أودع في الأرض الجاذبية التي تكفل بقاء الحياة ، ولو كان كوكب الأرض أكبر مما هو عليه لما أمكن المشي فوقه ؛ بسبب قوة الجاذبية ، ولو كان أصغر من ذلك لما أمكن الاتزان عليه بسبب قلة الجاذبية[٢] .

كما أن الأرض لو اقتربت من الشمس عن ما هي عليه ؛ لتبخرت مياه البحار والمحيطات ، ولارتفعت درجة حرارة الأرض ؛ بحيث يتعذر على الكائنات الحية العيش عليها ، ولو ابتعدت عن ما هي عليه لبردت الأرض ؛ ولتجمدت المياه والكائنات ، وصارت غير صالحة للحياة عليها[٣] .

* يحمي الغلاف الجوي سطح الكرة الأرضية ، من تساقط بقايا الشهب والنيازك ، من الفضاء الخارجي ، حيث ينتج عن احتكاك هذه البقايا الكونية بالغِلَاف الجوي ، احتراقها قبيل وصولها إلى سطح الأرض[٤] .

ولعل دقة التعبير القرآنيّ بلفظ المهد ، المرتبط في الاستعمال العربي بمهد الطفل ، وكذلك في التعبير القرآنيّ ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [ مريم:٢٩] يدلل على أن الكائنات : كل الكائنات ، أطفال لا يستطيع واحد منهم أن يهيئ لنفسه

---

(١) الإعجاز العلمي والبلاغي ٧٨ .

(٢) الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان ٨٨: ترجمة ظفر الدين خان . ط٧: المختار الإسلامي . مصر .

(٣) آيات معجزات في الشكل الظاهري للنبات ١٣٨ .

(٤) الأرض فراشاً والسماء بناء ٤٢ .

موضعا من الأرض ينام فيه ، أو يجلس ، بل يسير فيه ، فسبحان من مهدها لهم قبل أن يخلقهم .

كما أن لفظ المهْد : ساكن الوسط ، كأن في سكون وسطه دلالة على الاستقرار ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف : ٣٦] ، وكأن الألف الزائدة في لفظ المهاد ، تدل على انبساط وامتداد لهذا الاستقرار ، يمتد به الاستقرار حيث حل ، ولو عاش في مكان : جبلا كان أو سهلا ، ثلجا كان أو شديدة الحرارة ، طالما كان على الأرض ، لأنه فيها على مهود كثيرة ، وليست واحدا ؛ ويؤيد ذلك قول الأَزهري : « المِهادُ اسم أَجمع من المَهْد »[١] .

* * *

(١) تهذيب اللغة٦/ ١٢٧ .

الباب الثاني

# ألفاظ الإعجاز القرآني في مجال الكائنات

## المبحث الأول

## الإنسان

### ١ ـ خلقه من ماء دافق :

قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق ٥-٧] .

قرأ جُلُّ القراء : ﴿ دَافِقٍ ﴾ ، على وزن فاعل من دَفَق ، و قرأ زيد بن عليّ بن الحسين رضي الله عنه [٧٩ - ١٢٢ هـ] : ( مدفوق ) على وزن مفعول(١) .

والقراءة الأولى متواترة ، ويقابلها قراءة زيد بن على غير المتواترة.

قال ابن منظور : « دفَق الماءُ والدَّمْعُ يَدْفِق ويدْفُق دَفْقاً ودُفُوقاً »(٢) ؛ فدفق فعل لازم ، والوصف منه لا يأتي على وزن فاعل ؛ وما جاء من ذلك يعد نادرا ، على ما يرى جمهور اللغويين ، وقال فريق من اللغويين : صيغة ( دافق ) اسم فاعل من دفق(٣) .

ولذا اختلف في دلالة دافق في القراءة المتواترة :

* فعند الخليل وسيبويه : هو على النسب ، كلابِن وتامِر ، أي ذي دَفْقٍ .

* وقيل : إن صاحب الماء لما كان دافقاً ؛ أُطْلق ذلك على الماء على سبيل المجاز(٤) .

---

(١) البحر المحيط ٤٤٩/٨ .

(٢) لسان العرب ( دفق ) ١٠/ ٩٩ .

(٣) التحرير والتنوير٢٦٢/٣٠ .

(٤) مفاتيح الغيب ٣١ /١٢٢ .

* وقيل : هو بمعنى مدفوق ، فهو فاعل ، بمعنى مفعول[١] ، فمعناه على لفظ ما جاءت به قراءة : ( مدفوق ) غير المتواترة ، ومثله : ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴾ [النازعات : ١٠] ، فالحافرة بمعنى المحفورة ، وهي القبور[٢] ، على لغة بعض العرب الذين يعبرون بلفظ فاعل ، وهو بمعنى المفعول ، وهم أهل الحجاز[٣] .

قال الطبريّ : « والعرب تفعل ذلك في المدح والذّم ؛ فتقول: هذا ليل نائم ، وسِرّ كاتم ، وماء دافق ، فيوجهون الفعل إليه ، وهو في الأصل مقول لما يراد من المدح أو الذّم ، ومن قال ذلك لم يجز له أن يقول للضارب : مضروب ، ولا للمضروب : ضارب ؛ لأنه لا مدح فيه ولا ذمّ »[٤] .

* وقال ابن عطية : يصح أن يكون الماء دافقاً ؛ لأن بعضه يدفع بعضاً ، فمنه دافق ومنه مدفوق[٥] ، « وأعان على التعبير بـ ( دَافِقٍ ) أنها توافق رءوس الآيات التي هنّ معهن »[٦]؛ إذ قبلها : ﴿ ٱلطَّارِقُ ﴾ ، ﴿ ٱلثَّاقِبُ ﴾ ﴿ حَافِظٌ ﴾ وبعدها : ﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ ﴿ لَقَادِرٌ ﴾.

واستعرض ابن القيم [٦٩١ - ٧٥١ هـ] الآراء السابقة ، وغيرها ، في ( دَافِقٍ ) ثم قال : « وقيل - وهو الصواب - إنه اسم فاعل على بابه »[٧] ، بل قال :

---

(١) البحر المحيط ٥٧/٧ .

(٢) جامع البيان للطبري ١٩٤/٢٤ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٥ ، جامع البيان للطبريّ ٢٤/ ٣٥٤ .

(٤) جامع البيان ٥٨٦/٢٣ .

(٥) البحر المحيط ٤٤٩/٨ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٥ .

(٧) التبيان في أقسام القرآن ٦٤ ط: دار الفكر .

« فالدافق على بابه ليس فاعلا بمعنى مفعول ، كما يظنه بعضهم ؛ بل هو بمنزلة ماء جار »[١] .

وكأن ابن القيم – رَحِمَهُ اللَّهُ – امتد عمره ، حتى أدرك القرن الخامس عشرالهجري ، فاطلع على ما انتهت إليه الدراسات الحديثة ؛ إذ أثبت العلم الحديث أن لفظ ( دافق ) على بابه ، وانتهت الدراسات العلمية الحديثة إلى ما يأتي :

* اكتشاف الحيوان المنوي والبويضة الأنثوية ، في القرن السابع عشر الميلادي ، تبعا لاكتشاف المِجْهر ، واكتشف دور كل من الحيوان المنوي والبويضة في تكوين الجنين في القرن التاسع عشر[٢] .

* أُثْبِت في أواخر القرن العشرين أن أربعمائة مليون حيوان منوي في كل ( ٣ملليمتر مكعب ) من مني الرجل ، تتسابق فيما بينها لتلقيح بييضة أنثوية واحدة، بسرعة ثلث المتر في الساعة ، وتلك السرعة لكائن لا يرى إلا بالمكبِّر تعد فائقة ، ولذا يحتاج هذا الكائن إلى طاقة دفع عظيمة ، فضلا عن كونها في وسط سائل مخاطي ، وتلك الطاقة أودعها الله ـ تعالى ـ في ذيله الطويل ، إضافة إلى وجود ( إنزيم = إفراز ) في رأس هذا الحيوان يُمَكِّنه من إذابة سِدَادة عنق الرحم المخاطية ، ليعبر أقوى تلك الملايين ـ وهو حيوان واحد فقط[٣] ؛ ليدخل تلك البييضة ؛ لتلقيحها ، تاركا ذيله خارجها[٤] .

---

(١) إعلام الموقعين ١/١٤٥ تح: طه عبد الرءوف سعد . ط: دار الجيل . بيروت: ١٩٧٣م .

(٢) من علم الطب القرآني : د . عدنان الشريف ١٦٦ .

(٣) وصف التخلق البشرى ٣ ، وسبق صحة هذا الكلام صدق قوله ﷺ : « ما مِنْ كُلِّ الماءِ يكون الولدُ » صحيح مسلم : كتاب النكاح ، باب حكم العزل ، ورقم الحديث : ١٤٣٨/ ١٣٣ تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن ٥٨ .

(٤) معجزة خلق الإنسان ٥٨ ، وصف التخلق البشريّ ٣ ، الوراثة والاستنساخ ١٠ .

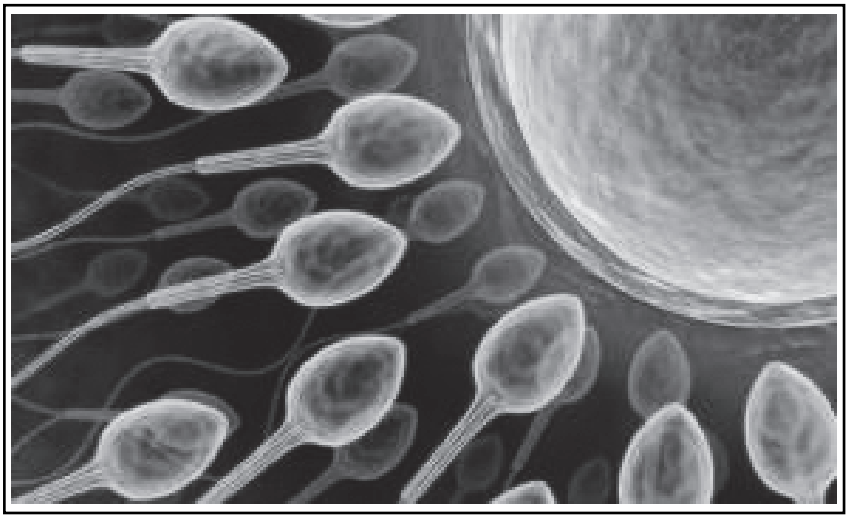

* بل إن هناك بعض الدراسات في معامل جمعية ( ماكس بلانك ) العلمية الألمانية أثبتت مؤخرا ( عام ٢٠١٢م ) أن الحيوان المنوي عند قيامه بالسباحة نحو البويضة ، يقوم بإجراء حسابات التفاضل والتكامل التي يعجز طلاب المراحل الأخيرة من الثانوية العامة عن فهمها ، وفسر الباحثون قيام الحيوان المنوي بهذه الحسابات المعقدة ، بدلا من الاعتماد على وسائل أكثر بساطة وسهولة للحركة ؛ بسبب ارتفاع تركيز الكالسيوم حول البويضة وبالتالي صعوبة اختراق الحيوان المنوي لها ، وهو ما يجعله يلجأ لهذه الخدعة ؛ ليتمكن من الحركة بسهولة(١) .

* أن « الماء الدافق الذي يخلق منه الإنسان يقصد به ماء كل من الرجل والمرأة، وسُمِّي دافقا ؛ لأن كلا منهما، يخرج من مصدره متدفقا ؛ فماء الرجل يخرج من غدتيه التناسليتين ( أي من خُصْيَتَيْهِ ) وهما الغدتان المسئولتان عن تَخَلُّق النُّطَف : ( الحيوانات المنوية ) ... وماء المرأة الدافق ، يخرج مرة واحدة في كل شهر ، من

(١) ظ . جريدة اليوم السابع : السبت ٣١ مارس ٢٠١٢م . من مقال لإسلام إبراهيم بعنوان : الحيوان المنوى يجرى حسابات « التفاضل والتكامل « فى طريقه لاختراق البويضة ، صفحة ( طب وصحة ) بالجريدة .

الحويصلة الحافظة له ، عندما يدفع المبيض بتلك الحويصلة من حافته إلى بوق قناة الرحم ؛ فتنفجر عند تمام نُضْجها، ويندفع ماؤها الأصفر اللون ؛ متدفقا بالبييضة إلى داخل قناة الرحم ؛ تماما كما يتدفق ماء الرجل بالحيامن ، فكلاهما ماء دافق ؛ كما قررت الآية(١) ، وهذا الماء الدافق عند المرأة يختلف عن سوائل المِهْبل، وهي سوائل لزجة ، تسيل ولا تتدفق، تفرزها مجموعة من الغدد المتصلة بالمِهْبل ، وهي سوائل مطهرة للجهاز التناسلي للأنثى ، ولا دخل لها بتكوين الجنين »(٢) .

ولعل ما يؤكد أن دافقا على بابه بمعنى فاعل ؛ قراءة الجمهور : ﴿ يَخْرُجُ ﴾ مبنياً للفاعل ، بإسناد الفعل إلى فاعله ، في﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ مما يدل على أن للحيوان المنويّ إرادة قوية ، وحركة ذاتية ؛ أودعهما الله ـ تعالى ـ فيه ، وهذا مقابل القراءة غير المتواترة لكل من : ابن السميفع اليماني ، وابن أبي عبلة ، وابن مقسم ، وعيسى بن عمر : ( يُخْرَجُ ) مبنياً للمفعول(٣).

وعليه فقد أيدت البحوث العلمية الحديثة أن لفظ دافق جاء على بابه ؛ لدلالته على

---

(١) وكما قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان ( : « ... ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر » ( صحيح الإمام مسلم ) . وقد اكتشف العالم ( دوغراف ) في القرن الثامن عشر حويصلة البويضة، وهي عبارة عن جُرَيِّب يحوي ماء أصفر تسبح فيه بويضة المرأة ، ولا يزال العلم يسمي هذا الماء بالماء الأصفر . من علم الطب القرآني ١٦٦ ، وينظر : إعجاز القرآن في إنجاب الذرية : أ.د . مجاهد أبو المجد . أ .د . سامي عبد الفتاح هلال ١٤٩ ، ١٥٠ : بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة : إسطنبول . تركيا .

(٢) من أسرار القرآن ٣١ /١/٢٠٠٥م ، و : ظ . أصول نشأة الإنسان من معجزات القرآن : د . محمد دودح ١٣ ، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الإمارات . دبي : ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م ، نشأة الذرية معجزة علمية : د . دودح ٩ .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ١٧١ ، البحر المحيط ٨/ ٤٤٩ ، إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٩٨ ، روح المعاني ٣٠/ ٩٧ .

الحركة الذاتية[١] ؛ وأن ما ذكره ابن القيم في ما سبق عرضه ، وما ذكره الألوسي [ ٠٠٠ - ١٢٧٠هـ ] في قوله : « ووصفه بالدفق قيل باعتبار أحد جزئيه ، وهو مني الرجل ، وقيل باعتبار كليهما ، ومني المرأة دافق أيضا إلى الرحم »[٢] ، ما ذكره كل منهما يبين أن السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ اجتهدوا ، وبالغوا في الاجتهاد ؛ حتى أُلْهموا بعضا من النتائج الدقيقة ، التي انتهى إليها علماء البحث العلميّ العالمي الحديث ، الذين أقرت بحوثهم بدقة التعبير القرآنيّ ، وأنه لا يصلح سواه .

كما أن في وصف القرآن ماء الإنجاب بـ ( دافق ) وثبت أنه على بابه ؛ يؤكد أن هذا الماء « حي التكوين ، فاعل ، تتسابق مكوناته في نشاط »[٣] .

كما يؤكد أن القرآن الكريم « سبق العلم الحديث بكشفه شيئا مذهلا ، هو أن الحيوانات المنوية ، يحملها ماء دافق ، هو ماء المني ، الذي يتدفق »[٤] ؛ بسبب « تقلصات كل من جدار الحويصلة المنوية ، والقناة القاذفة للمني ، مع تقلصات عدد من عضلات الجهاز التناسلي ؛ وبأمر من الجهاز العصبي يندفع السائل المنوي عبر الإحليل.... – أما ماء المرأة فهو الماء المحيط بالبييضة[٥] ، التي تكون في المبيض ، في حويصلة محاطة بالماء ؛ فإذا انفجرت الحويصلة ؛ تدفق الماء[٦] » ؛ ليصل بها إلى قناة الرحم ، ليتم التلقيح .

---

(١) نشأة الذرية معجزة علمية : د . دودح ٩ .

(٢) روح المعاني ٩٧/٣٠ .

(٣) أصول نشأة الإنسان من معجزات القرآن ١٣ .

(٤) السابق ٣٤ .

(٥) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/١/٣١م .

(٦) وصف التخلق البشرى .. مرحلة النطفة ، بروفيسور . مارشال جونسون وغيره ٢ ، أصول نشأة الإنسان من معجزات القرآن ١٣ .

« ومما يلفت النظر أن القرآن يسند التدفق للماء نفسه ؛ مما يشير إلى أن للماء قوة دفق ذاتية ؛ وقد أثبت العلم في العصر الحديث أن المنويات التي يحتويها ماء الرجل لابد أن تكون : حيوية ، متدفقة ، متحركة ، وهذا شرط للإخصاب »[١] .

كما يبين وجه الإعجاز في القراءة المتواترة ( دافق ) التي أجمع القراء عليها ـ تقريبا ـ سواء أكانوا من السبعة أو العشرة ، وحتى الأربعة عشر ، بل ومعظم من فوق الأربعة عشر ، وسبحان من هذا كلامه !! .

**أما قراءة ( يَخْرُجُ ) في ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ فـ :**

* يرى بعضهم أن الضمير في الفعل راجع إلى الماء الدافق[٢] ؛ وعلى هذا « تكون جملة ( يخرج ) حالاً ( ؟ ) من ( ماء دافق ) أي : يمر ذلك الماء بعد أن يفرز ، من بين صلب الرجل وترائبه ؛ وبهذا قال سفيان الثوري والحسن البصري ، أي : أن أصل تكَوُّن ذلك الماء وتنقله من بين الصلب والترائب ، وليس المعنى أنه يمر بين الصلب والترائب ؛ إذ لا يتصور ممر بين الصلب والترائب ؛ لأن الذي بينهما هو ما يحويه باطن الصدر والضلوع من قلب ورِئَتَين »[٣] .

* وهناك من جعل الضمير في ( يَخْرُجُ ) للإنسان[٤] .

* وقال آخرون : يحتمل أن يكون للإنسان ويحتمل أن يكون للماء[٥] ؛ قال المهدوي [٠٠٠ – نحو ٤٤٠ هـ] : « من جعل المني يخرج من بين صلب

---

(١) وصف التخلق البشرى . . مرحلة النطفة ٢ .

(٢) تفسير الرازي ٣١ / ١٢٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٦٨ ، ٥/٢٠ ، التحرير والتنوير ٢٦٢/٣٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٦٢/٣٠ .

(٤) المحرر الوجيز ٤٣٧/٥ .

(٥) السابق .

الرجل وترائبه ، فالضمير في يخرج للماء. ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، فالضمير للإنسان »[١] .

ونتائج الحقائق العلمية تؤيد أن الضمير راجع إلى الإنسان ؛ إذ الثابت علميا أن نشأة الخلايا التي تتكون منها الخُصْية بالنسبة للذكور ، وكذلك الخلايا التي يتكون منها المبيض عند الإناث تكون ( أي : تلك النشأة ) من بروزين صغيرين من الحبل الظهري ، الذي سيشكل في ما بعد العمود الفقري ، ويسميان بالبروزات التناسلية ، ثم في الأسبوع السادس من عمر الجنين الذكري يتشكل نسيج الخُصْيتين ، وإذا كان الجنين أنثى يتشكل نسيج المبيض في الأسبوع العاشر من عمر الجنين ، وتفرز الهرمونات الخاصة بكل نوع[٢] ، وبهذا يجتمع في ظهر الأجنة أصول نشأة الذرية ، ثم تخرج من الظهر ، من منطقة بدايات العمود الفقري ( الصُّلْب ) ، وبدايات الضلوع ( الترائب ) فيهاجر المبيض إلى الحوض ، بينما تهاجر الخُصيَة إلى كيس الصَّفَنِ[٣] ( : وعاء الخُصيتين )[٤] ؛ لأن الحرارة فيه أقل ( من ٣٣ ـ ٣٤م ) ؛ ولئلا تفشل الخُصْية في إنتاج الحيوانات المنوية ، فضلا عن تعرضها للتحول إلى ورم سرطاني ؛ إذا لم تكمل رحلتها ؛ مما يؤكد أن نشأة الذرية تكون بداياتها في الأصلاب ... ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ... ﴾ [النساء : ٢٣] ثم يولد الجنينان ويبلغان ويتزوجان ، وينتج من مائهما معا الذرية[٥] .

– والعجيب في قوله – تعالى – : ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ من دلالة الصُّلْبُ على :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٠ ، و: ظ . المحرر الوجيز ٤٣٧/٥ .

(٢) معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) أصول نشأة الإنسان من معجزات القرآن ٣٦ .

(٤) جمهرة اللغة ٢/ ٨٩٢ .

(٥) تفسير المراغي ٣٠ /١١٤ ، معجزة خلق الإنسان ٤٣ ، أصول نشأة الإنسان ٣٦ ، .

الظَّهر الذي هو : عَظمُ الفَقَارِ المتصِّل في وَسَطِ الظَّهْر[١] ، والتَّرائبُ : التي هي مَوْضِعُ القِلادةِ من الصَّدْر[٢] ، تلك « الدقة المتناهية ، التي ميزت بين موضع تكون أعضاء إنتاج الذرية ، في الظهر ، وموضع خروجها إلى طريق هجرتها »[٣] .

والأعجب من ذلك ؛ مؤيِّدًا لما سبق ومُؤكِّدًا لصحته ؛ ما اكتشف من استمرار تغذية تلك الغدد التناسلية ، طيلة حياتها بالدماء والسوائل الليمفاوية والأعصاب ، من الموقع ذاته في الظهر بين الصلب والترائب، مما يؤكد أن خروج الإنسان الفعلى من بين الصلب والترائب[٤] ؛ فهو مكان وجودها الأوَّلِيِّ ، باعتبار نشأته الأولى ، وأصله جنينا[٥] ، وخاصة أن ما تلاه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق :٨] وهو يتعلق بالإنسان ..

وعلى هذا فالأولى أن يكون عود الضمير في ( يَخْرُجُ ) إلى الإنسان ، سواء أكان مبنيا للمعلوم ، كما في قراءة الجمهور ، أم مبنيا للمجهول ؛ على اعتبار أنه لا يخرج بذاته.

**٢ ـ إقراره في الرحم :**

قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ... [الحج : ٥]

قرأ الجمهور ( وَنُقِرُّ ) بضم النون وكسر القاف .

---

(١) العين ١٢٧/٧ .

(٢) لسان العرب ( ترب ) ٢٢٧/١ .

(٣) نشأة الذرية معجزة علمية : د . محمد دودح ١١ .

(٤) من أسرار القرآن ٢٠٠٠/١/٣١م .

(٥) القرآن والطب . د . الحاج محمد وصفي : ٥٧ ط١:دار ابن حزم : ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

وروي عن يعقوب من طريق شاذ ( وَنَقُرُّ ) بفتح النون وضم القاف[١] .

وقراءة الجمهور من أقر مزيد قرّ يَقَرّ ، إذا استقر بالمكان[٢] ، من باب رَكِب يرْكَب ، أو عرَف يعرِف ، وهمزة أقر للتعدية ؛ يقال : أقرَّه في المكان فاستقر[٣] .

والمعنى : إذا أراد الله ـ تعالى ـ اكتمال خلق الجنين ؛ أقره في الرحم ؛ فيستقر فيه إلى الأجل المحدد للميلاد .

وقراءة يعقوب من قَرَّ يَقُرُّ بمعنى صَبَّ يصُبُّ ، ، من باب قَتَل يَقْتُل ، ومنه : « قررت على رأسه دَلْوًا من ماء بارد ، أي : صَبَبْت ، وقَرَّ الحديث في أذنه يقُرُّه ، كأنه صبه فيها »[٤] ، والمعنى ونَصُبُّ في الأرحام ؛ من ماء الإنجاب ، ما نريد له البقاء فيها إلى أن يولد .

وتدل لفظة ( نُقِرُّ ) على أن الأرحام قرار للأجنة ؛ لأن الرحم هو المكان الذي هيَّأه الله ـ تعالى ـ للجنين لكي ينمو فيه ، ويستقر .

وكان من الممكن أن يعبر القرآن بلفظ ( ونُبْقِي ) مثلاً ، بدلا من ( وَنُقِرُّ ) لكن لفظ البقاء ، وإن كان فيه الاستدامة ، فليس فيه ما يحتاجه الجنين من معنى الثبات والتمكن الذي في ( ونُقِرّ ) ؛ ولذا قال ابن فارس في مادة ( قرر ) : « القاف والراء أصلانِ صحيحان ، يدلُّ أحدهما على بَرْد ، والآخر على تمكُّن »[٥] ، وقال

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٣٢٧ .

(٢) الصحاح ( قرر ) ٢/٧٩٠ .

(٣) السابق .

(٤) الصحاح ( قرر ) ٢/٧٩٠ ، معجم مقاييس اللغة ٥/٧ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٥/٧ .

في مادة ( بقي ) : « الباء والقاف والياء أصلٌ واحد ، وهو الدّوام »[١] .

**ومن الأدلة على أن الرحم قرار آمن للجنين :**

* أنه في بعض الحالات النادرة جدا ؛ نمت بعض الأجنة وعاشت في بطون أمهاتها ، خارج الرحم[٢] ، مع « أن طبيعة الجسم أن يطرد أي جسم خارجي ، فإن الرحم يُؤْوِي الجنين ويغذيه ، وللرحم عضلات وأوعية رابطة ؛ تحمي الجنين داخله ، ويستجيب الرحم لنمو الجنين ؛ ويتمدد بدرجة كبيرة ؛ ليتلاءم مع نموه ؛ فهو قرار له ؛ ويحاط الجنين بعدة طبقات بعد السائل الأمينوسي ، وهي : الغشاء الأمينوسي المندمج بالمشيمة ، وطبقة العضلات السميكة للرحم ، ثم جدار البطن ، وكل هذا يمد الجنين بمكان مناسب للاستقرار وللنمو الجيد »[٣] .

(١) السابق ٢٧٦/١ .

(٢) عرف هذا باسم الحمل غير الطبيعيّ ، أو الحمل خارج الرحم ، وقد يؤدي هذا الحمل إلى وفاة كل من الجنين والأم معًا . من أسرار القرآن ٦/٢٧/ ٢٠٠٥م .

(٣) وصف التخلق البشرى ... مرحلة النطفة . مجلة الإعجاز العلمي العدد ٠١ ص٢٨ .

ولكل هذا وغير هذا ، مما لم يصل إليه العلم ؛ فإن القرآن الكريم ، وصف المكان الذي تستقر فيه النطفة وهو الرحم ، بوصفين غاية في الدقة ؛ فقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون :١٣ ، المرسلات : ٢١].

ومما يزيد هذا تأكيدًا على قرار المكان وأمنه وتمكنه : أن موقع « الرحم في وسط الجسم ، وفي مركز الحوض ، وهو محاط بالعظام والعضلات والأربطة ، التي تثبته بقوة في الجسم ، أي أنه مكين ، كما قرر القرآن الكريم ، وهذا أيضًا لفظ جامع معبر عن كل المعاني ، التي تبين تمكن الرحم ، وتثبيته في جسم الأم »[١] .

وبهذا يتضح أن التعبير في قوله : ونُقِر أدل على الواقع ، بأدق عبارة ، وأوفى لفظ .

وإذا كانت أبواب الفعل في القراءتين : ( وَنُقِرُّ ) ، ( وَنَقُرُّ ) تنوعت ، بين ضم عين الفعل المستقبل في ما دل على صب ، وكسره ماضيا في إحدى صورتيه ( باب ركِب يركَب ) أو مضارعا في الصورة الأخرى ( باب عرَف يعْرِف ) في ما دل على الاستقرار في الرحم ؛ فإن كل قراءة منهما تكمل الأخرى ، واقعا ودلالة ، وذلك بأن قراءة معنى الصب جاءت عين فعله مضمومة ـ والضم أقوى الحركات ـ ليدل على قوة الماء الدافق ، وضغط الماء المصبوب في الرحم ، كما أنه أول ما يحدث في الحمل ، واحتاج الفعل الذي فيه الكسر إلى ما يناسب معناه ، وهو الانكسار والتسفل والهبوط الذي يدل عليه القرار في الأرحام ؛ وهو آخر ما يتم به الحمل ؛ فعبرت القراءة غير المتواترة ( وَنَقُرُّ ) عن أول الحمل ، وعبرت المتواترة ( وَنُقِرُّ ) عن ختامه وتمامه[٢] .

---

(١) السابق .

(٢) من تعليق أ . د/ سامي عبد الفتاح هلال : عميد كلية القرآن بطنطا على القراءتين ، في حوار يتعلق بهما .

### ٣ ـ حمله كُرْهًا ووضعه كُرْهًا :

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ﴾ [الأحقاف : ١٥]

قرأ الكوفيون ويعقوب وابن عامر بخُلْفِ هشام : ( كُرْهاً ) بضم الكاف ، وقرأ الباقون بفتحها[١] .

والقراءتان متواترتان ، والأصل في الحمل أنه على الظهر ؛ ثم استعير للحَبَل ؛ بدليل قولهم : وَسَقَت الناقة ، إذا حملت ، وأصل الْوِسْق الحِمْل المحمول على ظهر البعير[٢] .

والكـرْه بفتح الكاف وضمها في القراءتين لغتان ، بمعنى المشقة[٣] ، مشهورتان كالفَقر والفُقر والضَّعف والضُّعْف ، والشَّهْد والشُّهد[٤] ، ؛ قال ابن منظور : « أَجمع كثير من أَهل اللغة أَن الكَرْهَ والكُرْهَ لُغتانِ ؛ فبأَيٍّ لغة وقع فجائِزٌ »[٥] .

ومن مُعَاناة الحمل ما جاء في قوله ـ تعالى ـ ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [ لقمان : ١٤] إذ قرأ الجمهور : ( وَهْناً ... وَهْنٍ ) بإسكان الهاء فيهما ، وقرأ عيسى الثقفي ، وأبو عمرو بن العلاء في رواية : بفتح الهاء[٦] ، وقراءة الإسكان هي المتواترة ، والأخرى شاذة .

---

(١) النشر ٢٤٨/١ .

(٢) المفردات ١٣٢ ، لسان العرب ( وسق ) ٣٧٨/١٠ .

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٩٢٥ .

(٤) الكشف ٣٨٢/١ .

(٥) لسان العرب ( كره ) ٥٣٤/١٣ .

(٦) المحرر الوجيز ٤٠٣/٤ .

وكل من الفتح والإسكان لغتان بمعنى الضعف ، وورد الفتح في لغة غطفان ، قال شاعرهم : ابن أُمّ صَاحِب : قَعْنَب بن ضَمْرَة الْغَطَفَاني [ ٠٠٠ – نحو ٩٥ هـ ] :

إن العواذل فيها الأَيْنُ والوَهَنُ[١]

ومعنى ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ : حملته في بطنها ، وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف ، أو أن المرأة ضعيفة الخِلْقة ؛ ثم يضعفها الحمل[٢] .

**ومما يدل علميا على انتقال الحامل من ضعف إلى ضعف :**

* « تغير الثوابت البيولوجية في دمها ، وكذلك الثوابت الوظيفية للأعضاء ، فتتسارع تدريجيا ضربات القلب ، ويتضاعف ما يضخه يوميا من الدم ، من ( ٦٥٠٠ ) لتر في أوائل الحمل ، إلى ( ١٥٠٠٠ ) لتر يوميا في أواخره ، وتتأثر الدورة الدموية ؛ فتمدد الأوردة ، التي تحمل الدم من الأطراف السفلى ، نتيجة تضخم حجم الرحم ، وتزداد سعته في أواخر الحمل إلى ألف مرة ، عن بدء الحمل ، وتنشأ الدوالي وتكثر البواسير ، والاضطرابات في أجهزة الهضم والبول والتنفس والمفاصل »[٣] .

* « زيادة وزن الحامل ( حوالي عشرة كيلو جرامات في المتوسط ) توضح جانبا مما تكابده الأم الحامل من مشاق في حالات الحمل الطبيعي ، وتتضاعف هذه المشاق أضعافا كثيرة في حالات حمل التوائم ، أو الحمل خارج الرحم ، مما يعرف باسم الحمل غير الطبيعي ، الذي قد يؤدي إلى وفاة كل من الجنين والأم معا »[٤] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦٣/١٤ .

(٢) السابق .

(٣) من علم الطب القرآني ٩٧ ، ظ . من أسرار القرآن ٦/٢٧/ ٢٠٠٥م .

(٤) من أسرار القرآن ٦/٢٧/ ٢٠٠٥م .

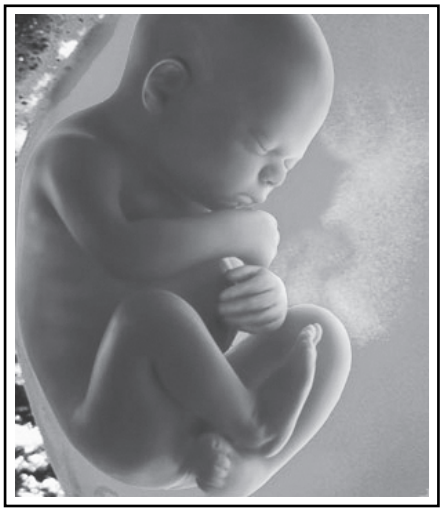

**أما كيف يكون الضّعف ؛ فيتضح فيما يلي :**

* « من الثابت علميًّا : أن الأم الحامل تضحي لجنينها بكامل احتياجاته ، على حساب احتياجاتها هي ، ولو أدي ذلك إلى فقد دمها وإمراضها ، ولذلك قال رب العالمين : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ »[١] .

* لما « تقدم علم الأجنة ؛ اكتشف أن البويضة بمجرد تلقيحها بالخلية المنوية ؛ تسعى للالتصاق بجدار الرحم ، وهي مزودة بخاصية أكَّالة ، تمزق جدار الرحم الذي تلتصق به وتأكله ؛ فيتوارد دم الأم إلى موضعها ، حيث تسبح هذه البويضة الملقحة دائما ، في بركة من دم الأم ، الغني بكل ما في جسمها من خلاصات ، وتمتصه ؛ لتحيا به وتنمو ، وهي دائمة الأكلان لجدار الرحم ، دائمة الامتصاص لمادة الحياة ، والأم المسكينة تأكل وتشرب وتهضم وتمتص ؛ لتصب هذا كله دما نقيا غنيا لهذه البويضة الشرهة النهمة الأكول ! »[٢] .

---

(١) السابق .

(٢) في ظلال القرآن ٣٢٦٢/٦ بتصرف .

* « وفي فترة تكوين عظام الجنين يشتد امتصاصه للجير [ الكالسيوم ] من دم الأم ، فتفتقر إلى الجير ؛ ذلك أنها تعطي محلول عظامها في الدم ؛ ليقوم به هيكل هذا الصغير »[١] . ولذا « قد تصاب بعض الحوامل بشيء من لين العظام أو هشاشتها ؛ لنقص الكالسيوم في جسمها ؛ نظرا لسحب الجنين لكميات زائدة من كالسيوم دم الأم ، أثناء تكون عظام جسده[٢] » .

* « تبين لأطباء التوليد أنه لابد من مشقة وعناء ، في الولادة ؛ لكي تكون طبيعية، ومن دون مضاعفات ، أما وسائل الولادة بدون ألم ، سواء أكان ذلك بالتخدير الموضعي للنخاع الشوكي ، أوبالحقن ، أو بتنشق الغازات المخدرة ، فإنها في أغلب الحالات تُعَسِّر الولادة ، وتمنع الأم من المساهمة في تقلص الرحم »[٣] .

* « تتعرض الوالدة لآلام في أثناء عملية المخاض وبعده ، ومن ذلك ما تشعر به من إجهاد شديد وقشعريرة بعد الولادة مباشرة ، ثم ارتفاع في درجة الحرارة ، وانخفاض في ضغط الدم ، واضطراب في النبض ، وتعرض لامكانية سقوط الرحم ... كما تتعرض لنزيف دموي طيلة فترة النفاس ، والتي قد تمتد من لحظة إلى ستين يوما ( بمتوسط يقدر بحوالي الأربعين يوما ) ، وذلك لسقوط المشيمة مع المولود ، وتركها للأوعية الدموية ، التي كانت تصل بينها وبين جدار الرحم مفتوحة ؛ تنزف كالجروح النازفة ، ولولا رحمة الله – تعالي – بالوالدة ، تلك الرحمة التي هيأت لها إفراز العديد من الهرمونات ، التي تعين الرحم على الانقباض انقباضا شديدا ، بعد الولادة مباشرة ؛ لنزفت النُّفَسَاء حتي الموت . وهذا الانقباض

---

(١) السابق .

(٢) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٦/٢٧م .

(٣) من علم الطب القرآني ٩٧ .

يعود بوزن الرحم ( بدون محتوياته ) من حوالي الكيلو جرام قبل الولادة مباشرة إلى حوالي الخمسين جراما فقط في نهاية فترة النفاس »[١] .

وقد صورت القِراءات في ( كرها ، وهنا ) تلك النتائج أعظم تصوير ، وأدق تعبير ؛ فمن المقارنة بين الآيتين في موضعي سورتي : الأحقاف ولقمان : يتبين أن آية الأحقاف فيها بسط في العرض ، من : حمل الأم كرها ، ثم الوضع كرها ، ثم الفصال في ثلاثين شهرا ، ثم بلوغه أشده ، وبلوغ الأربعين ، ولذا اقتضى هذا الحديث مزيد اهتمام بالوالدين وخاصة الأم ؛ فجيء بكلمة ( إِحْسَاناً ) ، بينما خلا منها موضع لقمان ، الذي اقتصر على الحديث عن الحمل والفصال ، دون ذكر الوضع ، الذي هو أشق مراحل الحمل .

ويبدو أن المشقة أو الكره في ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ بسبب أن معاناة الحمل في أواخره لا يمكن دفعها ؛ ولذا قال الرازي : « حملته أمه على مشقة ووضعته في مشقة ، وليس يريد ابتداء الحمل ؛ فإن ذلك لا يكون مشقة ، وقد قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ [ الأعراف ١٨٩ ] يريد ابتداء الحمل ؛ فإن ذلك لا يكون مشقة ؛ فالحمل : نطفة ، وعلقة ، ومضغة ، فإذا أثقلت ؛ فحينئذ ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ يريد شدة الطلق »[٢] .

والآيتان تشيران إلى « تدرج حال الأم ، في زيادة الضعف ، فكأنه لم يُعَيِّن ضَعْفَين ، بل كأنه قال : حملته أمه والضَّعْف يتزيد بعد الضَّعف ، إلى أن ينقضي أمره »[٣] .

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٦/٢٧م .

(٢) مفاتيح الغيب ١٣/٢٨ ، ظ . البحر المحيط ٦٠/٨ ، روح المعاني ١٧/٢٦ .

(٣) المحرر الوجيز ٤٠٣/٤ بتصرف .

ويمكن القول بأن مراحل الحمل ثلاثة : مرحلة الخفة ، ثم مرحلة الضعف المعبر عنه في ( وَهْناً عَلَى وَهْنٍ ) وهو المؤدي إلى المرحلة الثالثة : المشقة ، المعبر عنها بـ ( كُرْهاً ) .

وكان من الممكن أن يعبر القرآن بلفظ آخر ، يدل على المعاناة ، كلفظ الضعف ، بدلا من ( وَهْناً ... وَهْنٍ ) ، إلا أن القرآن اختار لفظ ( وَهْن ) ليعبر عن الحال بأدق تعبير ؛ **لأن** :

* الفرق بين الضَّعْف والوهن : أن الوَّهْن انكسار الجسد بالخوف وغيره ، والضعف نقصان القوة[١] .

* الوَّهْن فيه صوت الهاء ؛ يدل على الضعف الذي يترتب عليه المعاناة في الحمل ويمثلها بوضوح ؛ بسبب أن صوت الهاء من الأصوات الضعيفة في العربية ، بل الأضعف ؛ لانتمائه إلى مرتبة أضعف الأصوات : المرتبة الخامسة في صفات الحروف ، المسبوقة تصاعديا بمرتبة الأصوات الضعيفة ، فالمتوسطة ، فالقوية ، فالأقوى[٢] .

كما أن وقوع الهاء في وسط الكلمة ( وَهْناً ... وَهْنٍ ) ، يشير إلى ثانية المراحل ، التي اقْتُصِر على ذكرها في لقمان وهي الوسطى ، ولعل هذا يفسر ذكر الحمل فقط في لقمان ؛ لأن المقام وموقع الهاء يمثلان المرحلة الوسطى ؛ فلم يتعرض للمرحلة الأخيرة : مرحلة الوضع .

أما في ( كرها ) فجاءت الهاء في آخر المادة ، كأنها تعبر عن المرحلة النهائية ، التي هي أشق مراحل الحمل ، وأشدها ضعفا ، وهي الوضع أو الولادة ، ويدل على

---

(١) الفروق اللغوية ١١٥ .

(٢) عن علم التجويد القرآني ١٦٤ .

ذلك أن القرآن تكلم في الأحقاف عن الحمل والوضع ، وكأنه يشير في هذه السورة إلى بلوغ غايات الضعف ، في نهايات مدة الحمل .

وبهذا يتأكد أن صوت الهاء عبر بضعفه عن مرحلتي الضعف ( : الوسطى ، والأخيرة ) ؛ بموقعه في الكلمتين : ( وهنا ، كرها ) ؛ لأنهما هما مرحلتا الضعف اللتان يعتد بهما ، وإن كان هناك تدرج في زيادة الضعف .

**٤ ـ فسواك فعدلك :**

قال ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ * ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ ، ٧].

قرأ الكوفيون ( فَعَدَلَكَ ) بتخفيف الدال ، وقرأ الباقون بتشديدها[١] .

والقراءتان متواترتان ، وأصل مادة اللفظين : عدل ، وضُعِّفَت الدال في القراءة الثانية ، ويرى بعض العلماء : أن ( فَعَدَلَكَ ) بالتخفيف بمعنى ( فعَدَّلَكَ ) بالتشديد[٢] ، على أن المعنى : عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت[٣] .

* وهناك من يرى « أنهما متقاربان ، إلا أن التشديد يدل على المبالغة في العَدْل ، أي : التسوية ، فيفيد إتقان الصنع »[٤] .

* ويرى آخرون ( عَدَّلَك ) بالتثقيل من التعديل ، بمعنى :

---

(١) النشر ٣٩٩/٢ .

(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٢٨ ، شمس العلوم ٤٤١٩/٧ ، لسان العرب ( عدل ) ٤٣٠/١١ ، تاج العروس ( عدل ) ٢٩/ ٤٤٩ .

(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٢٨ .

(٤) التحرير والتنوير ١٧٦/٣٠ .

أ ـ قَوَّمك ، وجَعَلَك : قائماً ، مُعْتدلاً ، مُعَدَّل الخَلْق ، حسن الصُّورةِ ، لا كالبهيمة المنحنية ، أو المتطأطئة[١] .

٢ ـ أو جعلك مناسب الأطراف ، وعلى هذا يقصد بـ « التعديل: التناسب بين أجزاء البدن مثل تناسب : اليدين ، والرجلين ، والعينين ، وصورة الوجه ؛ فلا تفاوت بين متزاوجها ، ولا بشاعة في مجموعها ، وجعله مستقيم القامة ، فلو كانت إحدى اليدين في الجنب والأخرى في الظهر ؛ لاختل عملهما ، ولو جعل العينين في الخلف ؛ لانعدمت الاستفادة من النظر حال المشي ، وكذلك موضع الأعضاء الباطنة ، من : الحَلْق ، والمَعِدة ، والكَبِد ، والطِّحَال ، والكُلْيَتَين ، وموضع الرئتين ، والقلب ، وموضع الدماغ ، والنُّخَاع .

وخلق الله جسد الإنسان ، مقسمة أعضاؤه وجوارحه على جهتين ، لا تفاوت بين جهة وأخرى منهما ، وجعل في كل جهة مثلما في الأخرى ، من : الأوردة ، والأعصاب ، والشرايين »[٢] .

* **وأمَّا قراءة التخفيف ؛ فـ :**

أ ـ يرى الفراء ( ... – ٢٠٧ هـ ) أن المعنى : صرفك إلى ما شاء من الهيئات والأشكال والأشباه[٣] ، أي : من « شبه :أبيك ، أو خالك ، أوعمك ، أي : صرفك إلى شبه من شاء من قرابتك »[٤] .

---

(١) تهذيب اللغة ١٢٧/٢ ، الكشف ٣٦٤/٢ ، لسان العرب ( عدل ) ٤٣٠/١١ ، اللباب لابن عادل ١٩٨/٢٠ .

(٢) التحرير والتنوير١٧٦/٣٠ ، ظ . مفاتيح الغيب ٣١/ ٧٤ ، اللباب لابن عادل ٢٠/ ١٩٨ .

(٣) البحر المحيط ٨/ ٤٢٨ ، اللباب لابن عادل ٢٠/ ١٩٩ .

(٤) الكشف ٣٦٤/٢ .

ب ـ أو عَدَلَك من الكفر إلى الإيمان ، فيما يرى ابن الأعرابي[١] .

ج ـ أو « سَوّاك وقَوَّمك ؛ من قولك :عَدَلْت الشيء ؛ فاعْتَدل ؛ أَي : سَوّيْته فاسْتَوَى »[٢] .

وجاءت نتائج العلم الحديث مثبتة لكثير من المعاني السابقة ، ومؤكدة لما ورد في معاني القراءتين ؛ إذ : أكد العلم الحديث تحديد مراحل الخلق: بالنطفة ، ثم العلقة ، ثم المضغة ، وفي علم الأجنة أن طور النطفة من ماء الرجل والمرأة ( = الأمشاج ) تظل حتى اليوم الرابع عشر ، أي أسبوعين ، ثم يأتي طور العلقة إلى اليوم الثالث والعشرين ، ثم طور المضغة إلى نهاية الأسبوع السادس ، بالتحديد من عمر الجنين ، أي اثنين وأربعين يوما[٣] ، وليس للجنين في هذه المرحلة « أية ملامح بشرية ، ولكن مع بداية الأسبوع السابع من عمر الجنين ، فإن الهيكل الغضروفي يبدأ في الانتشار في المضغة ، ثم يتكلس معظم هذه الغضاريف ، فتتحول بإرادة الله – تعالي – إلى العظام ومن ثم تكسى العظام باللحم ( : العضلات والجلد ) »[٤] .

وهو هو ما جاء في الحديث النبوي « إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً ؛ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا ، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ وَيُكْتُبُ الْمَلَكُ.... »[٥] .

---

(١) تهذيب اللغة ١٢٧/٢ ، لسان العرب ( عدل ) ٤٣٠/١١ .

(٢) لسان العرب ( عدل ) ٤٣٠/١١ .

(٣) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٣/٧م ، ظ . الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٦١ .

(٤) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٣/٧م .

(٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان . تح : شعيب الأرنؤوط : كتاب التاريخ : باب بدء الخلق ، ١٤/ ٥٢ . ط٢: مؤسسة الرسالة . بيروت : ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

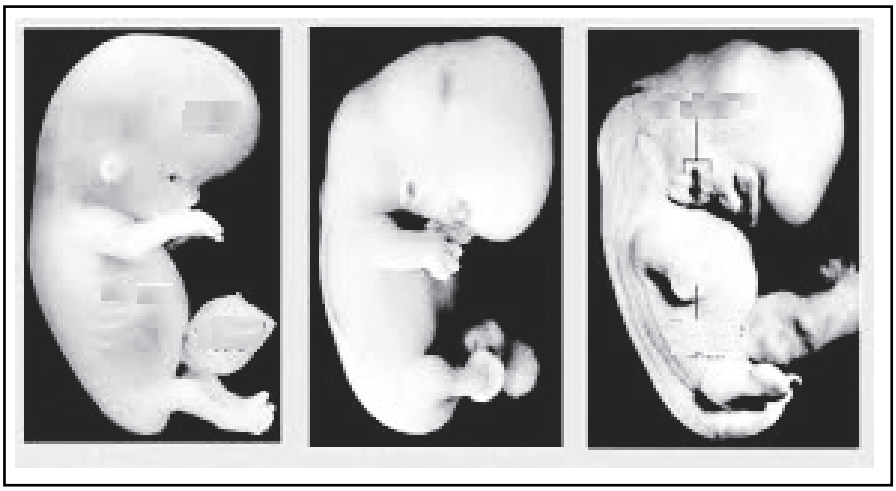

وبهذا فإن ما أفرزته النتائج العلمية ، اتفق تمام الاتفاق وما في القرآن والحديث .

ويذكر علماء الأجنة : أن بداية كسوة العظام باللحم تكون في الأسبوع الثامن ، وتعد نهاية هذا الأسبوع حدا فاصلا بين مرحلتين[١] : سابقة ، وتسمى : المرحلة الجنينية ، وتالية ويسميها القرآن مرحلة النشأة خلقا آخر ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] . ويسميها علماء الأجنة بالمرحلة الحميلية[٢] ، وهي التي تبدأ في أول الأسبوع التاسع ؛ وفيها ينمو الجنين ببطء ، إلى الأسبوع الثاني عشر ، فيسرع في النمو حتى نهاية الحمل .

**ومن خصائص هذه المرحلة :**

* تطور أعضاء الجنين ، وأجهزته ، ونموها ، وتهيئتها للقيام بوظائفها.

* حدوث بعض التعديلات في مقاييس الجسم ؛ فيصغر حجم الرأس بعدما كان كبيرا ، بحجم الجسم تقريبا ، وتستطيل السيقان بعدما كانت قصيرة ، ويبدأ

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٣/٧م .

(٢) السابق ، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٦١ .

البدن في أخذ الشكل المقدر له.

* يتضح للجنين صورته الشخصية ، بعد التعديل الذي تم ، وبخاصة في مقاييس الوجه[١] .

ومن خلال تلك الخصائص ، يتبين أن طور العظام وكسوتها بالعضلات والجلد ، يتلوها التسوية ، والتعديل ؛ وإذا كانت التسوية : جعل الشيء مستويا ومستقيما ؛ إذ يقال : سوَّى الشيء : قوَّمه وعدَّله وجعله سَوِيا[٢] ، والتعديل : تغيير الشكل والهيئة ؛ لتكون على صورة محددة ؛ إذا كان ذلك كذلك ؛ فقد أثبت علم الأجنة أن التسوية « تبدأ عقب عملية الخلق ، في المرحلة الحميلية ؛ وتعبير القرآن عن ذلك في غاية الدقة ، إذ صور التسوية عقب الخلق في قوله : ﴿ خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ فعبر بفاء العطف ؛ للدلالة على جعل التسوية بعد الخلق في تلك المرحلة مباشرة ، حيث يستقيم الجنين ، وتتهيأ أعضاؤه لأداء وظائفها ،

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٦٢ .

(٢) المعجم الوسيط ( سوي ) ٤٦٦/١ .

ويتخذ الجنين المقاييس الطبيعية لبدنه ( التعديل ) وتتخذ ملامح الوجه المقاييس البشرية المألوفة ، ويكتسب الجنين الصورة الشخصية له ( التصوير ) »[١] ، وكل هذا لم يدرك إلا بعد تطور علم الأجنة ، في العقود المتأخرة من القرن العشرين ، وسبق القرآن الكريم بالاشارة إليها[٢] ، والتعبير بألفاظ تبين دقائق تفاصيلها.

**٥ ـ ضعف ثم قوة ثم ضعف :**

قال ـ تعالى ـ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤].

قرأ : حمزة ، وعاصم بخُلْفٍ عن حفص : ( ضَعْفٍ ... ضَعْفٍ ... ضَعْفاً ) بفتح الضاد في الثلاثة ، وقرأ الباقون بضم الضاد فيها[٣] ، وهو الوجه الثاني لحفص .

والقراءتان متواترتان ، وأصل مادة القراءتين في الكلمات الثلاث واحد ، وهو: الضاد ، والعين ، والفاء ، وهذا الأصل يدل في العربية على معنيين متباينينِ ، أولهما : خلاف القُوَّة ، والثاني : أن يزاد الشَّيءُ مِثلَه[٤] ؛ ومدلول القراءتين من المعنى الأوَّل ؛ لأن الضَّعف والضُّعف فيهما : خلاف القُوَّة[٥] .

والضَّعف والضُّعف لغتان فصيحتان ، ونسبت لغة الضم إلى النبي ﷺ[٦]

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٦٣ ، من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٣/٧م .

(٢) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٣/٧م .

(٣) النشر ٣٤٥/٢ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٣٦٢/٣ .

(٥) الصحاح ( ضعف ) . ٧٦/٤ ، البحر المحيط ٧/ ١٧٥ .

(٦) جمهرة اللغة٩٠٣/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٤٦ .

وهو ﷺ قرشي ؛ وعليه فالضم لغة قريش ؛ ويؤكد هذا قول الفراء [٠٠٠ - ٢٠٧ هـ] : « الضم لغة قريش ، والفتح لغة تميم »[١] .

والظاهر من خلال النصوص ، أن الضم لم يكن في حدود قريش فقط ؛ بل كان أوسع من ذلك ؛ إذ نقل عن أبي عمرو [٦٨- ١٥٤هـ] أن الضَّمَّ لغةُ الحجاز[٢] ، والحجاز - من بلاد العرب - يطلق على « : مكّة ، والمَدينة ، والطائف ، ومَخاليفها »[٣] .

وذكر الدامغاني [ ... - ٤٧٨هـ] أن مادة ( ضعف ) في القرآن تأتي على عشرة أوجه ، وأن ما جاء منها في ( خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ) يدل على النطفة[٤] ؛ ويؤيد هذا ما في كثير من المصادر من أن المراد بلفظ ( ضعف ) : النطفة الضعيفة[٥] ، أَي : مِنْ مَنِيّ[٦] ، أو أنه « إشارة إلى حالة ، كان [الآدمي] فيها : جنيناً ، وطفلاً مولوداً ، ورضيعاً ، ومفطوماً ، فهذه أحوال غاية الضعف »[٧] .

ويراد بلفظ ( ضعفا ) في ( ضَعْفاً وَشَيْبَةً ) : حال الشيخوخة والهَرَم[٨] ؛

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٤٦ ، ظ . روح المعاني ٢١/ ٥٩ .

(٢) اللباب لابن عادل ٩/ ٥٦٥ .

(٣) تاج العروس ( حجز ) ١٥/ ٩٥ .

(٤) قاموس القرآن ٢٩٠ .

(٥) تنوير المقباس٣٤٣ ، جامع البيان١١٨/٢٠ ، الجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٤ ، البحر المحيط ١٧٥/٧ .

(٦) تاج العروس ( ضعف ) ٢٤/ ٤٩ .

(٧) مفاتيح الغيب ٢٥/ ١١٩ ، ظ . الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٤٦ .

(٨) البحر المحيط ٧/ ١٧٥ .

« فهي ضعف في الكيان الإنساني كله ، وانحدار إلى الطفولة بكل ظواهرها ، وقد يصاحبها انحدار نفسي ؛ ناشئ من ضعف الإرادة ؛ حتى ليهفو الشيخ أحيانا كما يهفو الطفل ، ولا يجد من إرادته عاصما »[١] .

ولذا فالقراءتان تدلان على أن الضعف في كل من الجسم والعقل ، ولو قال القرآن : خلقكم ضعافا ، لما كان دلالة على المبالغة التي تفصح عن الضعف الشديد ، الدال عليه لفظ المصدر « ضَعْف » ؛ لأن التعبير بالمصدر يُبْدي الضعف كأنه مادتهم الأولى ، التي صيغ منها كيانهم ؛ ويؤكد دقة التعبير القرآنيّ أن هذا الضعف متمثل في :

ضعف البنية الجسدية ، بداية من تلك الخلية الصغيرة منشأ الجنين ، ثم في الطفل ، والصبي ، ثم الضعف في المادة الأولى ، التي خلق منها الإنسان : الطين ، وهي بالقياس إلى الخِلْقة الإنسانية ضعيفة ؛ ولولا نفخ اللّه من روحه فيها ؛ لظلت على الصورة المادية أو الحيوانية ، ثم ضعف الكيان النفسي أمام النوازع والدفعات ، والميول والشهوات[٢] .

وقد تأكد للعلم الحديث ، صور الضعف المتعددة ، التي يوصف بها الآدمي ، منذ كونه نطفة إلى آخر عمر المُعَمَّر ، **ومن تلك الصور** :

* أن نطفة الرجل لا تتعدى : خمسة من ألف من المليمتر ، بينما تصل بويضة المرأة إلى أربعين ضعف نطفة الرجل ، ولا يُرَيَان إلا بالأجهزة المُكَبَّرة ؛ فهل هناك أضعف من هذا[٣] ؟ .

---

(١) في ظلال القرآن ٢٧٧٦/٥ .

(٢) السابق .

(٣) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٣/٢١م .

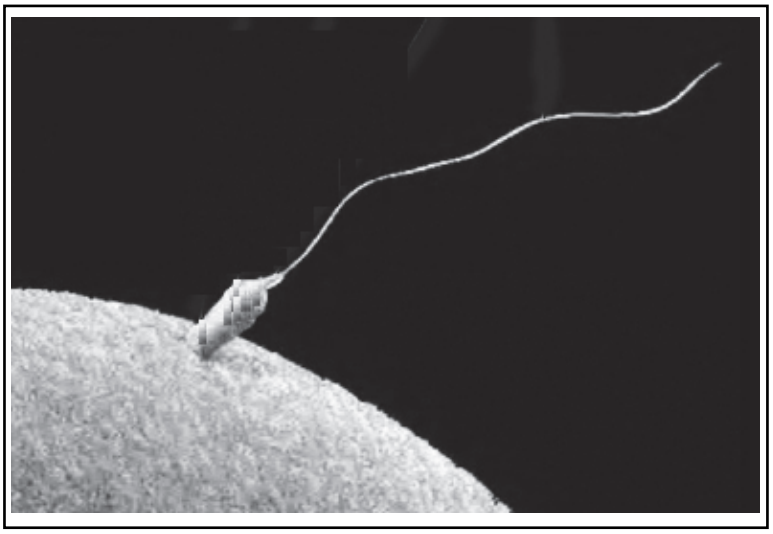

* يولد الرضيع ، وأغلب عظامه طرية ، وليس كالكائنات الأخرى ، التي تقوى سريعا على الوقوف أو السير ؛ ولذا « تكون تلك العظام قابلة للكسر وللتشوه ، إذا لم تعامل بحرص شديد ، ثم يبدأ تكلسها بالتدريج حتي تقوي ، وتنبت الأسنان الأولى ، عند تمام الشهر السابع من عمر الوليد »[١] .

* مع أن المولود عند ولادته تكون عضلاته كاملة ، إلا أنها تكون ضعيفة ؛ بلا قدرة في القبض على الأشياء ، كما تكون حواسه قليلة الإدراك ، عن سائر الكائنات الأخرى المولودة ؛ فلا يتمكن من السمع ـ وهو أول حواسه إدراكا ـ إلا بعد مدة طويلة ، ثم البصر ، ثم اللمس ، وتتأخر حاسة الذوق قليلا ، ثم تزداد قدرات الطفل بالتدريج ، والتوازي مع نموه ، حتى يصل إلى فترة القوة ( من ٢٥ ـ ٤٥سنة )[٢] ، التي بعد نهايتها « يتوقف النمو الجسدي ، وتأخذ القدرات البدنية في التناقص التدريجي حتي سن الخامسة والستين ، ثم بالتناقص الحاد من

---

(١) السابق .

(٢) نفسه .

سن الخامسة والستين إلى نهاية العمر ، وتسمى هذه الفترة باسم طور الشيخوخة ، وهي حالة من التدهور التدريجي في بنية كل حي يشمل جميع خلاياه ، وأنسجته، وأعضائه ، وأجهزته ، مما يضعف من كفاءتها ومن قدرتها على القيام بوظائفها بالمعدلات التي كانت تقوم بها في طور الشباب »[١] .

وهذا التدهور الصحي نوع من التدمير الذاتي المبرمج في الشفرة الوراثية للخلية الحية[٢] ؛ فيبدو شيب شعر الرأس ، وانكماش الجلد وتجعده ، وضعف الحواس التدريجي من قدرات السمع ، والبصر، والتذوق والشم ، واللمس، كما تصاب العظام بالوهن أو الهشاشة ؛ لامتلائها بالفراغات الناتجة عن تناقص مادة ( الكالسيوم ) ؛ وبسبب توقف إفراز أعداد من الهرمونات المهمة ، والنقص الشديد عدد من ( الفيتامينات ) وأهمها ( د ) ؛ فيسهل كسر أي جزء من العظام في الوقت الذي تتباطأ سرعة التئامها[٣] .

* تضعف الأنسجة العضلية ، والوصلات العصبية العضلية ، بعد سن الخامسة والأربعين ، مع ضعف كل من القلب والجهاز الدوري ، والتنفسي ، والهضمي ؛ بسبب قلة إفراز العصارات و ( الأنزيمات ) ، والتدهور التدريجي للجهاز العصبي[٤] ؛ « فتضعف الذاكرة قصيرة الأمد ، ويضعف معها العديد من الحواس كالسمع والبصر ، والعديد من المهارات كالقدرة على الإمساك بالأشياء ، وعلى الاستجابة للمؤثرات ، وقد يصاب الطاعن في السن بشيء من النسيان ، والخَرَف،

---

(١) نفسه .

(٢) الشيخوخة . . تنكيس في الخلق : د . محمد دودح . مجلة الإعجاز العلمي العدد ١٢ : صفر ١٤٢٣ هـ ص٧ .

(٣) السابق ٩ ، من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٣/٢١م .

(٤) نفسه ٩ .

والذهول عن كل من المكان والزمان ، وقد تتعرض شخصيته إلى شيء من التغير مع تراكم العديد من المواد بين الخلايا والألياف العصبية الحية تعرف باسم ( لطع الشيخوخة ) التي تكثر عادة في منطقة الناصية – وهي منطقة اتخاذ القرار في المخ ـ ولذلك فإن الطاعنين في السن قد يصابون بالعديد من أمراض الشيخوخة من مثل مرض الذُّهَان ( الزهايمر ) ، والاكتئاب ، والوسوسة ، والخوف ، وقد يتطور ذلك إلى شيء من الهَوَس والهيجان والجنون »[١] .

وقد وصف القرآن الكريم ، في القِراءات الثلاث ، التغير في القوة على طول العمر ، ببيان أن الإنسان خلق ضعيفًا ابتداء ، « وكأنه يرسم منحنىً تصويريًّا ؛ يبين التدرج من الضعف إلى القوة ، في مختلف مراحل العمر ، قبل أن يُستخدَم ذلك الأسلوب في الدراسات العلمية الحديثة ، والقوة تبلغ أوْجها في مرحلة الشباب ، ثم يُعكس الاتجاه ؛ ويبدأ الارتداد والانقلاب والانتكاس ؛ ليكون سمة مرحلة الشيخوخة ، ولذا وصفها القرآن بالضعف ، والعجيب أنه التزم بإضافة الشيب ؛ لتمييزه عن الضعف الأول ، وهو ضعف الخلق والتسوية والتعديل والنشأة والابتداء والنماء[٢] .

ومع أنه من خلال العرض السابق يتبين أن الضعف ( بفتح الضاد وضمها ) يكون في بدن المولود وفي عقله ، ومثله بالضبط يكون في المُعمَّر ؛ ومع ثبوت ذلك علميا ، والنص عليه لغويا ، إلا أن بعض اللغويين يرى : أن القراءتين ليستا بمعنى واحد ؛ قال أبوحيان الأندلسي : « وقال كثير من اللغويين : الضم في البدن ، والفتح في العقل[٣] » ؛ وهو في الحقيقة رأي عند الخليل بن أحمد ؛ قال :

---

(١) السابق ١١ ، من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٣/٢١م .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) البحر المحيط ٧/ ١٧٥

« ويُقَالُ : الضَّعْفُ في العقل والرأي ، والضُّعْفُ في الجسد »[١] .

وعلى هذا تختلف القراءتان ؛ وتكون كل واحدة منهما بمعنى ، وهذا الرأي بادٍ ضعفُه ؛ لأن الخليل صدَّرَه بصيغة التمريض ؛ وحتى لو أُخِذ بصحة هذا الرأي ، فإن القراءتين تتكاملان ؛ فتتمم إحداهما الأخرى ؛ إذ تدل قراءة فتح الضاد على أحد الضعفين ، وهو العقل والرأي ، وتدل ثانيتهما على ثانيهما ، وهو البدن ، ولعل الألوسي أحسن صنعا في تعليقه على كلام أبي حيان بقوله : « والظاهر أنه لا فرق بين المضموم والمفتوح ؛ وكونهما مما يوصف به البدن والعقل »[٢] .

**٦ ـ التنكيس في الخلق :**

وعلى مثل المعنى الذي جاء في القِراءات الثلاث السابقة ، جاء قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ... ﴾ [يس: ٦٨] ؛ إذ قرأ عاصم ( نُنَكِّسْهُ ) بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة ، وقرأ الباقون ( نَنْكُسُه ) بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف مخففة[٣] .

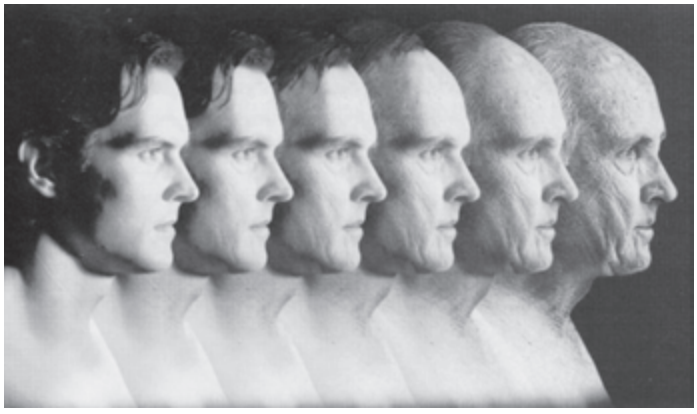

(١) العين ١/٢٨١ .

(٢) روح المعاني ٢١/ ٥٩ .

(٣) النشر ٢/ ٣٥٥ .

والقراءتان متواترتان ، الأولى من ( نَكَّس ) والثانية من ( نَكَسَ ) ، وذكر الزمخشري أنه قرئ شاذا ( نُنْكِسْه ) من أنْكَس ؛ قال الأزهري : « يقال : نَكَسْته ، ونَكَّسْته ، وأنْكَسْتُه ، بمعنى واحد[١] » والتشديدُ للمُبَالَغَةِ[٢] ، والمعنى على القِراءات الثلاث : أن مَن أطلْنا عُمْرَه نكَّسْنا خلقه ؛ فصار بدلَ القوة الضعفُ ، وبدلَ الشباب الهَرَمُ ، وبدلَ رجاحة العقل الخَرَفُ وقلةُ التمييز ، وبدلَ العلم الجهلُ[٣] .

وأصل مادة نكس يدلُّ على قَلْب الشّيء[٤] ؛ يقال : نُكِسَ الرجل إذا ضَعُف وعَجَز[٥] ، ونُكِس المولود : خرجت رجلاه قبل رأسه ، ونُكِس المريض : عاودته العلة بعد النَّقَه ، ونَكَسَ اللهُ فلانا في العمر : أطال عمره إلى أرذل العمر ؛ فعاد إلى حال كحال الطفولة ، في الضعف والعجز[٦] ، والمُنَكّس من الخيل: الذي لا يرفع رأسه عند الجري ضعفاً[٧] .

ولأن الإنسان يمر بعد ميلاده بمراحل متتالية : الطفولة ثم الشباب ، ثم الكُهُولة ، ثم مرحلة التعمير :الشيخوخة ؛ فإن الشيخوخة « تعد انتكاسة في قوة البدن والحواس ؛ فلا يزال الشيخ يتراجع في قوته البدنية والحسية ، فتضعف قوة عظامه وعضلاته ، وأعصابه ، وذاكرته ، وسمعه ، وبصره ، وتتساقط أسنانه ،

---

(١) معاني القراءات ٣١١/٢ .

(٢) تاج العروس ( نكس ) ١٦/ ٥٧٦ .

(٣) معاني القراءات ٣١١/٢ ، تهذيب اللغة٤٣/١٠ ، الكشاف ٢٨/٤ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤٧٧/٥ .

(٥) لسان العرب ( نكس ) ٢٤١/٦ .

(٦) المعجم الوسيط ٩٥٢/٢ .

(٧) شمس العلوم ٦٧٥٢/١٠ .

ويشيب شعره أو يتساقط ، وتتعثر خطواته ، وتعتريه الأمراض والعلل ، حتى لا يستطيع القيام بنفسه ، دون مساعدة من غيره ، فكأنه قد ارتد إلى طفولته الأولى »[١] .

وكل ذلك مظاهر واضحة ، تبدو عِيَانًا ، وتوضح أن ما في قراءات ( ننكسه ) من دلالات يلحظ ويدرك بسائر صُوَرِه ، وجميع أشكاله ، وتأكد للعلم الحديث ذلك لما تبين له أن « من أهم أسباب الشيخوخة زيادة قوى الهدم ، في داخل الخلايا على قوى البناء المعروفة باسم الأيض أو الاستقلاب ؛ وذلك لأن خلايا الجسم كلها في تغيير مستمر ، ماعدا خلايا كل من : المخ ، والنُّخَاع ، والأعصاب ؛ فإن ما يهلك منها على طول الحياة لا يعوض .

وفي مراحل النمو ؛ تتجدد الخلايا بمعدلات أسرع من معدلات هدمها ، وفي مراحل النضج يتساوى المعدلان تقريبا ، وفي مراحل الشيخوخة تزيد معدلات الهدم على معدلات البناء ، وعندما يحدث ذلك في نسيج عضو من الأعضاء ؛ فإنه يبدأ في الضمور ؛ حتى يتعطل عن أداء وظيفته بكفاءته العادية أو يتوقف عن ذلك بالكامل .

وكلما تقدم السن بالإنسان ؛ تضاءلت عنده عملية تجدد الخلايا ، وزادت معدلات هدمها وهلاكها ، وبالتالي يظهر الضمور العام في مختلف الأنسجة والأعضاء »[٢] .

ومن هذا يتضح في دلالة القِراءات الثلاث في ( ننكسه فِي الْخَلْقِ ) أن من طال عمره نُكِسَ في خلقه ، كمن انتكس وانقلب رأسًا على عقب « وفيها وصف

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠٥/٨/٢٩م .

(٢) السابق .

دقيق لحالة التدهور والارتداد ، التي تتسع لتشمل التغيرات الظاهرة والخفية ، التي يدل عليها لفظ ( الْخَلْق ) الشامل للأعضاء ، ووظائفها ، وأنشطتها.

ومنذ نزول القرآن الكريم ، في القرن السابع الميلادي ، إلى عقود قليلة ، لم يكن معروفًا سوى التغيرات الظاهرة في الهيئة ، ومع توفر التقنيات وتقدم الدراسات ، لم تخرج التغيرات الخفية المكتشفة حديثًا عن وصف القرآن الجامع لها[١] .

**٧ـ تقدير الموت :**

قال ـ تعالى ـ : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠].

قرأ ابن كثير ( قَدَرْنَا ) بتخفيف الدال وقرأ الباقون ( قَدَّرْنَا ) بتشديدها[٢] .

ومادة القراءتين الثلاثية ( قدر ) وشددت الدال في ثانيتهما ، وهذه المادة في قول ابن فارس : « أصلٌ صحيح يدلُّ على مَبْلَغ الشَّيء وكُنهه ونهايته ، فالقدر: مبلغُ كلِّ شيء ، يقال: قَدْرُه كذا ، أي مبلغُه. وكذلك القَدَر ، وقَدَرتُ الشّيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير ، وقدَّرته أُقَدِّره »[٣] .

وكلامه يعني أنه يقال : قَدَرتُ الشّيءَ وقدَّرته ، والمعنى واحد ، وهو ما نقل عن الكسائي [ ١١٩ - ١٨٩هـ] والفراء [ ٠٠٠ - ٢٠٧ هـ ] وابن قتيبة [٢١٣ – ٢٧٦ هـ][٤] ؛ قال الفراء : « ولا يبعد أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا ؛ لأن العرب تقول : قدَر عليه الموت وقدَّر »[٥] ، وقال ابن

---

(١) الشيخوخة . . تنكيس في الخلق ص ٦ .

(٢) النشر ٣٨٣/٢ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥ .

(٤) اللباب لابن عادل ٧٤/٢٠.

(٥) تهذيب اللغة ٣٩/٩ ، لسان العرب ( قدر ) ٧٤/٥ .

قتيبة : « قدرنا بمعنى قدَّرنا مشددة : كما تقول : قدرت كذا وقدَّرته ؛ ومنه قول النبي ﷺ في الهلال : « إذا غُم عليكم فاقْدُروا له » أي قدروا له المسير والمنازل[١] ، وذكر الواحدي [ ... – ٤٦٨ هـ] المفسر أن المشدد في هذا المعنى أكثر استعمالاً[٢] .

ويؤكد ما سبق عرضه أن معنى القراءتين واحد ؛ ويؤيد ذلك قول مكي بن أبي طالب : هما لغتان بمعنى التقدير والقضاء[٣] ، فكأنه قال : قضينا بالموت للفناء والجزاء[٤] .

ومن هذا يفهم أن الموت مقدر في كل الخلق ؛ حيث تأكد للعلم الحديث في أواخر القرن العشرين ، من خلال دراسات الشفرة الوراثية للإنسان ، أن تقدير الموت مبرمج في النطف[٥] ، و « تتكون الشفرة الوراثية للجنين من التقاء نطفتي الرجل والمرأة ؛ فيتكامل عدد الجسيمات الصبغية إلى (٤٦) وهو العدد المحدد لنوع الإنسان ، حيث يحمل كل من النطفتين نصف هذا العدد ( ٢٣ صبغيا فقط ) »[٦] .

ومع أن النطفتين تكونان في بداية التحامهما ؛ لتكوين خلية واحدة مخصبة ، فقد تبين للعلماء أن الموت مخلوق مع خلق الإنسان ؛ إذ يرى علماء الأحياء أو الوظائف الحيوية ، أن هذا النوع من الموت ( الموت الخلوي المُقَدَّر ) تعد أنظمته في أثناء اللحظات الأولى لخلق الأجنة ، وأنه مبرمج في داخل كل خلية من

---

(١) اللباب لابن عادل ٢٠/٧٤ .

(٢) مفاتيح الغيب١٩/١٥٩ .

(٣) الكشف ٢/٣٠٥ .

(٤) تفسير العز بن عبد السلام ١١٧٩ .

(٥) من أسرار القرآن ٤/٤/٢٠٠٥م .

(٦) السابق .

الخلايا الحية بدقة بالغة ؛ وهو ما أشير إليه في الآيات ، وسياق الآيات يؤكد أن القرآن أشار إلى ذلك ؛ أذ بدأت الآيات بقوله ـ تعالى ـ ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٧ – ٦٢ ] حيث تحدث القرآن عن الإمناء ، فالخلق ، فتقدير الموت ؛ مذكرا بالنشأة الأولى ، وكأن في ذلك إشارة واضحة إلى تقدير الموت ، منذ المراحل المتقدمة في الخلق.

وبهذا فإن ذكر الموت المُقَدَّر ، بعد ذكر الإمناء ، يشير إلى أن الموت المقدر ، له علاقة ببداية الخلق من المني أو النطف ؛ وقد تنبه إلى ذلك الرازي [٥٤٤ – ٦٠٦ هـ] ـ رحمه الله ـ فقال : « ... فائدتها ومرجعها إلى ما ذكرنا ؛ أنه قال : خَلَقَ الموتَ في النُطَف بعد كونها حية عند الاتصال »(١) .

وقد تبين للعلماء ـ غير ما سبق ـ أن هنالك صفات مستترة أو متنحية ، في تلك الشفرة الوراثية ، تَظْهر في نسل الشخص من بعده ، ومن هذه الصفات الموت ، الذي أكد القرآن أنه مخلوق(٢) ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [الملك : ٢] ) كما أن هذا أكد ما أمكن التوصل إليه ، من أن الأجل مقدر في داخل الخلية الحية ، وأن ما يطرأ من أمراض أو أحداث عارضة ، وما ينتهي بالبدن إلى الشيخوخة مقدر ومدون ، في الشفرة الوراثية ، بواسطة طول الأغطية الطرفية للصبغيات ، المحدد لعدد مرات انقسام كل خلية حية ؛ إذ إنه بمجرد فقد الخلية الحية لقدرتها على الانقسام ، فإنها تبدأ في فقد أجزاء من محتواها البروتيني ، وقد تتورم الخلية حتى تنفجر ؛ فتلتهم الأنسجة المجاورة

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٥٥ .

(٢) السابق .

محتويات تلك الخلية ، أو تتعرض النواة إلى التفتت أو الانكماش[١] .

ويتضح من خلال العرض السابق أن هنالك موتاً آخر ، يختلف عن الموت الكلي للكائن الحي ، هو الموت الخلوي ، ويدخل ـ أيضا ـ تحت قوله تعالى ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ ؛ إذ تبين لعلماء الكائنات الدقيقة ، من خلال علامات نسيجية ، أن الموت الخلوي المقدر ، يمتاز عن غيره من التَّخَرُّبِ الجسدي[٢] .

وبناء على ما سبق ؛ فإن الموت يتدرج في خلايا كل جسد حي ؛ بدءا من العُصَيَّات الدقيقة ، في داخل الخلية إلى الخلايا ذاتها ، ثم الأنسجة فالأعضاء والأجهزة منتهيا بالانهيار الكامل للكائن الحي بالوفاة ، وهذه الخطوات المكتشفة تتم بدقة فائقة ؛ ولذا سماها العلماء : الموت الخلوي المبرمج ( أو المقدر )[٣] .

واستدل علماء الأحياء ، على أن الموت الخلوي المبرمج ، من أنواع الموت المدبر والمقدر ، بوجود عائلتين من الجينات ، تتحكم في مسار الموت الخلوي ، أولاهما تنظم عملية الاستموات ، حسب احتياجات الجسم ، وثانيتهما تشرف على تصنيع بروتينات الموت ، تعرف باسم ( مثيلة البروتيزات )[٤] .

وتلك الحقائق السابقة ، من أن الموت مقدر ومخلوق كالحياة ، وأنه يبدأ تقديره مع بداية التخليق ، لم يدركها أحد من الخلق ، إلا في العقدين

---

(١) الموت المقدر ( الموت الخلوي المبرمج ) د . مجاهد محمد أبو المجد: مجلة الإعجاز العلمي العدد ١٠ رجب ١٤٢٣هـ ص ٤٦ ، من أسرار القرآن ٤/٤/٢٠٠٥م .

(٢) الموت المقدر ( الموت الخلوي المبرمج ) ٤٦ .

(٣) من أسرار القرآن ٤/٤/٢٠٠٥م .

(٤) الموت المقدر ( الموت الخلوي المبرمج ) ٤٧ .

المتأخرين ، من القرن العشرين[١] ؛ وسبق القرآن بإشارته إلى ذلك في دقة بالغة ، مع وضع الفِقْرة التي تتحدث عن ذلك ، في سياق يؤكد أن القرآن أشار إلى ذلك بوضوح .

* * *

(١) من أسرار القرآن ٤/٤/٢٠٠٥م .

## المبحث الثاني

## الحيوان

**الإبل :**

قال ـ تعالى ـ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧].

قرأ الجمهور ( الإِبل ) : بتخفيف اللام ، وروي ـ شاذا ـ عن على بن أبي طالب ، وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قرآ : ( الإِبِلِّ ) بتشديد اللام ، ورويت ـ أيضا ـ عن : أبي جعفر القارئ ، وأبي عمرو بن العلاء ، والكسائي[١] .

وكلا القراءتين من مادة ( أبل )[٢] ، ويرى الْعُكْبَرِيّ أن القراءتين بمعنى واحد ، على أن التقدير فيهما: أفلا ينظرون إلى الإِبلِ : هيئةِ خَلْقِها[٣] . وأرجع الْعُكْبَرِيّ تشديد اللام إلى صورة صوتية للوقف ، هي الوقف بالتشديد ؛ بأن نوى القارئ الوقف على اللام فشدد ، كما يقال : هذا فرجَّ ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف[٤] .

ومع أن الوقف بالتشديد لغة سعدية[٥] ، أي : منسوبة إلى بني سعد ، على

---

(١) إعراب ثلاثين سورة ٧٠ ، مختصر في شواذ القرآن ١٧٢ ، شواذ القراءة للكرماني : مخطوط اللوحة ١٣٢ء ، البحر المحيط ٨/ ٤٥٩ .

(٢) لسان العرب ( أبل ) ١١/ ٣ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠٤ .

(٤) إعراب القراءات الشواذ للعكبري . تح د. محمد عزوز ٧٠٣ .

(٥) أوضح المسالك لابن هشام ٤/ ٣٤٥ . ط . دار الجيل . بيروت ، التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهري ٢/٣٤١ط . الحلبي . القاهرة .

اختلاف في تعيينهم ، سواء أكانوا سعد بن بكر على ما رجح بعض اللغويين[١] ، أم سعد تميم على ما يرى آخرون[٢] ، ومع هذا يبدو ضعف قول العكبري ؛ لأن الوقف على الإبل ليس محلا للوقف ، كما أنه انفرد بهذا الرأي.

وأورد بعض اللغويين والمفسرين ، من الذين ذكروا القراءتين ، أن هنالك اختلافا في الدلالة ، بين ( الإِبِلِ ) و ( الإِبِلِّ ) ؛ ولذا قال أَبو عمرو بن العلاء : « من قرأَها بالتخفيف فإنما يعني به البعير ... ... ومن قرأَها بالتثقيل ؛ قال : الإِبِلُّ : السحابُ التي تحمل الماء للمطر »[٣] . ويرى الراغب الأصفهاني [ ... - ٥٠٢ هـ] أن إطلاق ( الإِبِلّ ) على السحاب من قبيل التشبيه ؛ إذ قال : « فإن يكن ذلك صحيحا ؛ فعلى تشبيه السحاب بالإبل ، وأحواله بأحوالها »[٤] .

لكن يضعف القول أن ذلك من باب التشبيه ، وروده دون أن ينص على ذكر أنه من باب التشبيه ، عن عدد ممن يوثق بعلمهم ، منهم : أبو عمرو بن العلاء [٦٨- ١٥٤هـ] ، والكسائي[٥] [١١٩- ١٨٩هـ] ، وابن خالويه[٦] [قبل ٢٩٠- ٣٧٠هـ] وأبو حيان الأندلسي[٧] [٦٥٤ - ٧٤٥هـ]

بل قال المبرد [٢١٠ - ٢٨٥هـ] : « الإبل هنا ، هي : القِطَع العظيمة من

---

(١) في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس ١٧٤ط٤ الأنجلو :١٩٧٤م .

(٢) اللهجات العربية في التراث د . أحمد علم الدين الجندي ٤٨٩/٢ . ط ليبيا .

(٣) لسان العرب ( أبل ) ١١/ ٣ ، تاج العروس ( أبل ) ٤١٥/٢٧ .

(٤) المفردات ٩/١ ، ظ . فتح القدير ٤٣٠/٥ .

(٥) لسان العرب ( أبل ) ١١/ ٣ ، تاج العروس ( أبل ) ٤١٥/٢٧ .

(٦) مختصر في شواذ القرآن ١٧٢ .

(٧) البحر المحيط ٨/ ٤٥٩ .

السحاب »[١] .

واختصت الإبل بالذكر ؛ « لأن ضروب الحيوان أربعة : حَلُوبة ، ورَكُوبة ، وأَكُولة ، وحَمُولة ، وقد جمعت الإبل هذه الخلال الأربع ؛ فكان الإنعام بها أعم ؛ وظهور القدرة فيها أتمّ »[٢] .

ويظهر الإعجاز في خلق الإبل أن الدراسات التي تمت على يد علماء الحيوان والبيطريين كشفت عن اختلاف الإبل عن سائر الحيوانات في : وظائف أعضاء هذا الحيوان ، وصفاته المظهرية والإنتاجية ، كما انفردت بصفات مازال الكثير منها غير واضح للعلماء والباحثين[٣] .

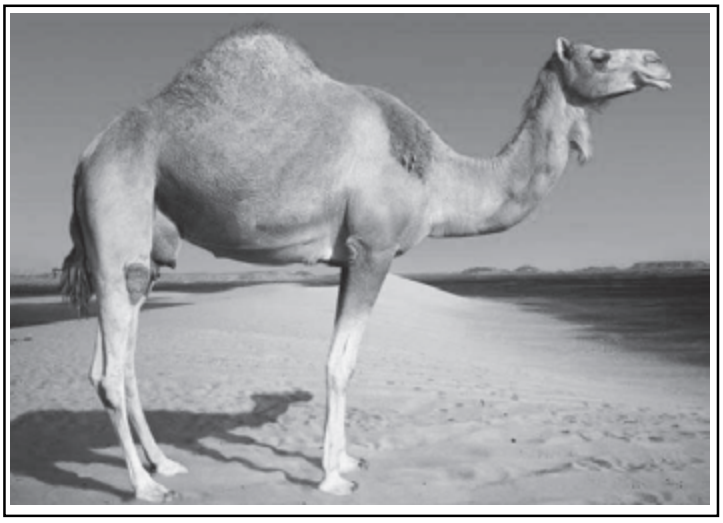

**ومما تنفرد به الإبل :**

أ ـ تأقلمها على العيش في الصحراء ، وقد ميز الله ـ تعالى ـ أعضاءها ؛ فأنوفها

---

(١) فتح القدير ٥/٤٣٠ ، ظ . التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٠٤ .

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ٣/ ٤٤٧ .

(٣) الحيوانات والحشرات: د مهندس : خالد فائق العبيدي ٢٧ .

عبارة عن شقوق ضيقة ، ذات نهايات لحمية ممتدة إلى الأمام ، تمكنها من تضييق وغلق فتحة الأنف ؛ فتمنع دخول ذرات الرمال والغبار والحشرات إلى الجهاز التنفسي[١] ، فضلا عن حماية الغشاء المخاطي للأنف من الجفاف أثناء التنفس[٢] .

ب ـ أهداب عيون الإبل الطويلة ؛ تمكنها من حجز الرمال والأتربة والقذى عن العين ، ومن أهم الخفايا التي تميز الإبل عن حيوانات الصحاري الأخرى ، أن قزحية عين الجمل عبارة عن ستارة : الغشاء الثالث ؛ لتغطية العين لحمايتها من وهج الشمس الحارق[٣] .

ج ـ الأُذُن صغيرة قليلة البروز ، يغطيها كلها شعر ؛ يحميها من الرمال ، ولها القدرة على : الانثناء إلى الخلف ، والالتصاق بالرأس ، عند هبوب العواصف الرملية[٤] .

د ـ شفة الإبل السفلى مشقوقة ، تمكنها من تناول الأعشاب الشوكية ، دون أن تؤذيها ، إضافة إلى أن ارتفاع الرأس أكثر من مترين ؛ يجعل منطقة الرأس بعيدة عن ضربات ذرات الرمال ، المدفوعة بفعل الرياح[٥] .

و ـ مع تكون المعدة عند جميع الحيوانات من أربعة تجاويف ، وتكونها في

---

(١) الإعجاز العلمي في تميز الإبل في خلقها عن باقي الحيوانات : د: طبيب بيطري : حامد عطية محمد : بحوث المؤتمر الثامن للإعجاز العلمي بالكويت ١٦ .

(٢) الحيوانات والحشرات: د مهندس : خالد فائق العبيدي ٢٧ ، ٣١ .

(٣) الإعجاز العلمي في تميز الإبل ١٦ .

(٤) السابق .

(٥) الحيوانات والحشرات ٢٧ ، ٣١ .

الإبل من ثلاثة فقط ، إلا أن الإبل تتميز معدتها وأمعاؤها باستيعاب كمية من الماء ، تعادل ربع وزن جسمها ، وهذا الماء مستودع جيد للسوائل التي يحتاجها الجمل عند تعرضه للعطش ، ومع هذا فالجمل أكثر الحيوانات اقتصادا في استعمال الماء ، كما تبين للعلماء أن الماء الممتص في بعض أجزاء معدته يعاد ضخه إلى الأجزاء الأخرى ؛ مما يساعد على استمرار الوظائف المعدية العادية ، إذا قل الماء في الصحراء ، أو عرض جفاف ، ويستطيع الجمل أن يتحمل خمسين يوما دون ماء ، من غير أن يفقد شهيته للطعام ، بينما الحيوانات الأخرى كالأبقار مثلا لا تستطيع تحمل فقد الماء أكثر من يومين ، نتيجة نضوب الماء اللازم لتوفير البيئة المناسبة للهضم(١) .

ز ـ اكتشف علماء الحيوان وجود تجاويف خاصة ، في بدايات الجهاز التنفسي للإبل ؛ تسهم في تبريد الهواء المستنشق ، وكذلك الدم المار إلى أنحاء الجسم(٢) .

ح ـ تنفرد الإبل بطريقة تَنَقُّلٍ مخالفةٍ لكل الدواب الرباعية ، تعتمد على رفع القائمتين من جهة واحدة معا ، مما يساعد في التنقل بطريقة تموجية مميزة ؛ تجعل وزن الجسم وما يحمله ، يتناوب ثقله تارة على الجانب الأيمن ، وتارة على الأيسر ؛ مما يخفف من مشقة الأثقال(٣) .

ط ـ عند تشريح الخف وجد أنه يشبه إطار السيارة ، من الناحية الوظيفية ، لكنه في المكون مملوء بدهن غير مشبع ، يتيح للجمل السير في المناطق الرملية

---

(١) الحيوانات والحشرات ٣٠ .

(٢) السابق .

(٣) الإعجاز العلمي في تميز الإبل ١٦ .

والصلبة ، بكفاءة واحدة ، في جو عالي الحرارة ، أو متجمد ، وتلك الدهون تكون سائلة في درجات الحرارة المنخفضة ؛ فيسير الجمل على السطح البارد دون أن تتجمد تلك الدهون[١] .

ي ـ زود الله ـ تعالى ـ الجمل بوسائد حُرْشُفية ؛ أسفل صدره وفوق كل ركبة ، تمكنه من البروك على الأرض ، مهما كانت خشنة أو قاسية دون معاناة ، كما تساعد في رفع جسمه عن الأرض ؛ للسماح بمرور الهواء من الفراغات ، التي تساعد على ترطيب جسده[٢] .

**ومما سبق عرضه** ؛ يتبين أن تلك الأوصاف ، في الإبل التي كانت تحت بصر أهل مكة ؛ تستحق أن يبحث في كيفية خلقها ؛ المختلف اختلافا كبيرا ؛ عن جميع المخلوقات الحيوانية ؛ وأن جوانب الإعجاز فيها أقرب إلى النظر من غيرها ، وأن الصحيح في مشدد القراءة إطلاقه على السحاب لا على الإبل الحيوانية .

* * *

(١) السابق ١٧ .

(٢) نفسه .

## المبحث الثالث

## النبات

### أ ـ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

قرأ ابن كثير وابن ذكوان ( شَطَأَهُ ) بفتح الطاء ، وقرأ باقي القراء العشرة ( شَطْأَهُ ) بإسكانها.

وقرأ ابن عامر بخلف هشام ( فأَزَرَهُ ) بقصر الهمزة ، وقرأ باقي القراء العشرة ، والحلواني عن هشام في الوجه الثاني عنه ( فَآزَرَهُ ) بالمد[١] ، والقِراءات الأربعة متواترة .

وينتج من ذلك أن قراءة ابن عامر غير الحلواني عن هشام : ( شَطَأَهُ فأَزَرَهُ ) ، وقرأ ابن كثير ( شَطَأَهُ فَآزَرَهُ ) ، والباقون ومعهم الحلواني عن هشام ( شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ) .

والشطء بفتح الطاء وإسكانها لغتان بمعنى واحد ، كالسَّمْع والسَّمَع ، والنَّهْرِ والنَّهَر ، ومعنى الشطء : فراخ الزرع ، والشطء في الآية كناية عن من دخل في الإسلام من المؤمنين ؛ فيقوى الإسلام بهم[٢] ، و « جُعلوا كالزرع ؛ لأنه أول ما يخرج يكون ضعيفاً ، وله نمو إلى حد الكمال ؛ فكذلك المؤمنون »[٣] .

ويلحظ في قوله : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ أن لفظ زرع نكرة ، خصص

---

(١) النشر ٢/٣٧٥ .

(٢) الكشف ٢/٢٨٢ .

(٣) مفاتيح الغيب ٢٨/٩٤ .

بالوصف ؛ لأن جملة ( أَخْرَجَ شَطْأَهُ ) صفة لـ ( زرع ) ، ويعني هذا التخصيص أن المقصود زرعٌ بصفة معينة ؛ ولذا قالت العرب فيما حكاه ، أبو زيد الأنصاري [١١٩- ٢١٥هـ] : أشطأت الشجرة ، إذا أخرجت أغصانها ، وأشطأ الزرع فهو مشطئ ، إذا أفرخ(١) .وهذا يعنى أن الإشطاء بمعنى الإفراخ لا يكون في الشجر ؛ بل يكون في الزرع ؛ ولذا قال ابن جنى : « ولا يكون الشطء إلا في الْبُرّ والشَّعِير(٢) » وأدق منه قول أبي الفضل الرازي [ ... - ٤٥٤ هـ] : « وهو في الحنطة والشعير وغيرهما »(٣) . كالأُرْز ، وهو ما أكدته الدراسات العلمية الحديثة ، في علم النبات ؛ التي انتهت إلى أن المقصود بهذا الزرع ، أحد النباتات ذات الفلقة الواحدة ، وبخاصة العائلة النجيلية(٤) ؛ لأنها هي التي تخرج الأشطاء ؛ رغم وجود عشرات الآلاف من الأنواع النباتية ، ليست كالزرع الموصوف في الآية(٥) .

---

(١) تهذيب اللغة١١/٢٦٩ ، الكشف ٢/٢٨٢ .

(٢) المحتسب ٢/٢٧٦ .

(٣) البحر المحيط ٨/١٠٢ .

(٤) هي: نباتات ذات أزهار خنثوية ، متجمعة في سنابل ، وهي من أكبر عائلات النبات ؛ حيث تضم ٤٥٠ جنسا من أجناس النبات ، يندرج تحتها سبعة آلاف نوع من النبات ، وهذه الفصيلة النباتية أصل الغذاء العالمي على الأرض . من أسرار القرآن ١١/٨/٢٠٠٣م ، آيات معجزات في الشكل الظاهري للنبات . د . نظمي خليل أبو العطا موسى ٨٧ . ط١: دار السلام . مصر : ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م .

(٥) نبات المحاصيل : د . محمد السيد زيدان ٣٨ ، ٣٩ : نشر : الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة : ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م ، النبات والإنبات : د مهندس : خالد فائق العبيدي ٢٢ ( سلسلة : ومضات إعجازية في القرآن والسنة النبوية ) ط ١ : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان : ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

والثابت علميًّا أن الشطء : فرع يشبه الأصل تمامًا ؛ يخرج من منطقة جذر النبات ، وعدد الأشطاء يربو على ثلاثين شطئا ، وقد يصل إلى مائة وخمسين ؛ لأن الأشطاء تُشطئُ بعد اكتمالها[١] .

ومع هذا العدد الضخم من الأشطاء ، كان من الممكن أن يعبر القرآن بصيغة الجمع : ( كزرع أخرج أشطاءه ) ، إلا أن في التعبير بالمفرد في كلا القراءتين إشارة دقيقة ، اكتشفها العلم الحديث ، وهي أن النبات يخرج الأشطاء واحدا ثم واحدا ؛ حيث يوجد مدة زمنية بين خروج الشطء وتاليه ، تستغرق من يومين إلى ثلاثة أيام[٢] .

والقراءتان ( فأَزَرَهُ ) و ( فَآزَرَهُ ) من مادة ( أزر ) التي يدل أصلها على القوّة والشدّة[٣] ، وهي مأخوذة من شد الإزار ، أي : التقوية[٤] .

---

(١) آيات معجزات في الشكل الظاهري للنبات ٨٦ ، نبات المحاصيل ٤٩ .

(٢) نبات المحاصيل ٤٩ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ١٠٢/١ .

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ١٧ .

وأزره بغير مد على وزن : فَعَلَه ، يقال : أزر وآزر بمعنى واحد ؛ فهما لغتان فيه[١] ؛ بمعنى : ظاهره وعاونه[٢] ؛ ولكن أيهما يعاون الآخر: الشطء أم الأصل؟.

إن البحث في مرجع الضمير في ( فأَزَرَهُ ) أو ( فَآزَرَهُ ) يجيب عن هذا التساؤل ؛ وقد اختلف العلماء في مرجع الضمير ؛ إذ : ـ

١ ـ يرى أبو عبيدة [ ... ـ ٢١٠هـ] أن الهاء في فآزره ترجع إلى الزرع : أي : آزر الشطءُ الزرعَ ؛ بأن كثرت فراخ الزرع حتى استوت معه في الطول وقَوَّتْه[٣] . قال الرازي : وهو أقوى وأظهر[٤] ؛ « لأن الزرع أول ما يطلع رقيق الأصل ، فإذا خرجت فراخه غلظ أصله وتقوى ، وكذلك أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أقلة ضعفاء ، فلما كثروا وتقووا قاتلوا المشركين »[٥] .

٢ ـ يرى آخرون : أن الهاء راجعة إلى الشطء ، أي : أعان الزرعُ الشطءَ وقوَّاه ؛ والمصادر تذكر هذا الرأي ؛ مرجوحا ، وغير مدعوم بأدلة[٦] .

والنتائج العلمية أثبتت ترجيح الرأي الثاني ؛ لأن الزرع يقوم بتقوية الشطء الذي يخرجه ، وهذه حقيقة علمية ؛ أصبحت واضحة الآن ، وتم تأكيدها بالبحوث العلمية الدقيقة ، بواسطة أجهزة عالية الدقة ، وبالفحوص

---

(١) الكشف ٢٨٢/٢ .

(٢) العين ٣٨٢/٧ .

(٣) الكشف ٢٨٢/٢ .

(٤) مفاتيح الغيب ٩٤/٢٨ .

(٥) البحر المحيط ١٠٢/٨ .

(٦) الكشف ٢٨٢/٢ ، مفاتيح الغيب ٩٤/٢٨ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/١٦ .

الميكروسكوبية ؛ لتأكيد العلاقة بين الشطء والأصل ؛ ومن هذه البحوث ما أجراه العالمان اليابانيان : ( إيشي زوكا وتانكا ) سنة ١٩٦٣م ، حيث وَجَدَا أن : ـ

١ ـ الشطء عند خروجه يعتمد على الأصل اعتمادا كليا ؛ في امتصاص العناصر الغذائية اللازمة لبناء خلاياه .

٢ ـ بعد أيام قليلة يكون قد تكون على الشطء ثلاث وريقات ، وأربعة جذور ، تجعله يبدأ في الاعتماد على نفسه ؛ فيستخدم الجذور في امتصاص المواد اللازمة للنمو من التربة ، وتقوم وريقاته بعمل التمثيل الضوئي اللازم للطاقة ؛ فيزداد نموالشطء ومقاومته للظروف المُنَاخية بازدياد سمكه .

٣ ـ تصل سيقان الشطء إلى أقصى طول لها ، مع بروز السنابل في أطرافها[١] .

ومع أن النتائج العلمية السابقة ، أثبتت أن الزرع هو الذي يقوي الشطء ، إلا أن الظاهر أن كلا منهما يقوي الآخر ويدعمه ؛ وبذلك تتمم كل قراءة أختها ، وإيضاح ذلك : ـ

١ ـ أن قراءة ( فَأَزَرَهُ ) بغير مد ، تدل على مرحلة خروج الشطء عندما يكون ضعيفا ، ويعينه الأصل ويقويه .

١ ـ أن قراءة ( فَآزَرَهُ ) بالمد بوزن : فاعله[٢] ؛ التي تدل على المشاركة ، وهو رأي مجاهد بن جبر [قبل ٢٠ ـ ١٠٣هـ] ، وإن عارضه أبو حيان الأندلسي ؛ فقال : « فآزره ، على وزن أفعله ... وقول مجاهد وغيره : آزره فاعَلَهُ خطأ ، لأنه لم يسمع في مضارعه إلا يُؤْزِر ، على وزن يُكْرِم »[٣] . فأبو حيان محجوج

---

(١) نبات المحاصيل ٤٣ وما بعدها ، من أسرار القرآن ٢٠٠٣/٨/١١ .

(٢) الكشف ٢٨٢/٢ .

(٣) البحر المحيط ١٠٢/٨ .

بقول الخليل : « وآزَرَهُ أي : ظاهره وعاونه على أمر ، والزّرع يؤازرُ بَعْضُه بَعْضا إذا تلاحق والتفّ »[١] .

وبقول الخليل وبتفسيره هذا ؛ يثبت أن آزر ورد في اللغة بمعنى فاعل ، خلافا لأبي حيان مما يدلل على أن المؤازرة متناوبة بين الشطء والزرع ؛ وهذا واضح من خلال صيغة فاعل ، التي تدل على المشاركة .

**وأكد هذا ما صرح به علماء النبات من أنه :**

أ ـ تبين من خلال الدراسات العلمية ، أن النبات الذي يُشْطِئ يتعرض للرقاد ، أثناء تكوين السنابل ونمو الحبوب ؛ مما يترتب عليه فقد جزء من المحصول ، والتعرض للخسارة ، إلا أن الإشطاء يكون عاملا قويا في مقاومة الرقاد ؛ لأن الإشطاء يعمل على تكوين كتلة من العيدان متشبثة بالأرض ، ومتقوية ببعضها تقاوم الرقاد ؛ فيقوى الزرع مفردا ومجموعا[٢] .

وهذا من أقوى ألوان التآزر ؛ وقد تنبه الفلاحون المصريون إلى ذلك مؤخرا ، منذ عشرين عاما تقريبا ؛ فبدلا من أن يقوموا ببذر حبوب القمح بذورا منفردة ؛ صاروا يزرعونها في حُفَر بالنَّقْر ، كل حُفْرة تحتوي على عدد كبير من الحبوب ، حتى إذا نبتت وكبرت تقوت ببعضها وقاومت الرقاد ، وكأنهم بذلك يعدون للنبات أشطاءً أو فراخا صناعية ، تكون دعامة له ! .

ب ـ أن الشطء عندما يكبر ويكون قادرا على التفريخ أو الإشطاء ؛ يمد فراخه

---

(١) العين ٣٨٢/٧ ، ظ . أساس البلاغة للزمخشري ( أزر ) ١٥/١ ، ط . دار الفكر .

(٢) من أسرار القرآن ١١ / ٨ / ٢٠٠٣ ، نبات المحاصيل ٤٣ وما بعدها ، النبات والإنبات ٢٢ .

التي أشطأها ، بما تحتاجه من غذاء ، وحاجات البناء والتكوين ، وبهذا يتحقق فيه المؤازرة[١] .

ج ـ أن الأشطاء عندما تكبر وقبل أن تنضج ، تعطي أصولها المواد الغذائية ؛ إذا احتاجت الأصول إلى ذلك ، أو قَلَّ الغذاء عندها ، بل ثبت علميا أن الأشطاء إذا تعرضت للموت أو الهلاك ؛ فإنها تسرع في إعطاء الأصول ما لديها من غذاء قد تَكَوَّن ، وهذا أرقى ألوان المؤازرة والتعاون والتراحم ، الذي وصف به المؤمنون في الآية ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [ الفتح : ٢٩][٢] . وكأن في تعبير القرآن عن فرخ النبات بالشطء دلالة على أنه لأصله كشاطئ نهر[٣] ، أو ساحل بحر حريص دائما على إنقاذ أصله ، ومعاونته حتى ولو كان يجود بروحه!.

د ـ الأشطاء تكون عاملا أساسيا في تقوية الأصل ، وحمايته بأجزائه الخارجية ، ومؤازرته ؛ ليستوي الأصل بعد ذلك على سوقه ، ويعجب زارعيه ؛ بعد أن يستغلظ ؛ بواسطة انتاج خلايا ( كامبيوم ) التي تنتج خصيصا لاستغلاظ النبات[٤] .

ومن خلال ما سبق عرضه ؛ يتبين أن الدراسات العلمية الدقيقة ؛ قد أيدت الرأي القائل أن قراءة ( آزر ) بالمد ليس بوزن أفعل ، وإنما وزنها فاعل التي ليست من جانب واحد وإنما التي تدل على المفاعلة ، ويترتب على ذلك أن الرأي القائل بأن كلا من أزر وآزر بمعنى واحد[٥] ، يحتاج إلى نظر ومراجعة ، ولعل الذين قالوا

---

(١) نبات المحاصيل ٤٩ .

(٢) السابق

(٣) لأن المادة التي منها شاطئ وشطء واحدة ( شطأ ) .

(٤) النبات والإنبات ٢٢ ، ٢٣ ، آيات معجزات في الشكل الظاهري للنبات ٨٥ .

(٥) الكشف ٢٨٢/٢ .

ذلك[١] اعتمدوا على أن وزن ( آزر ) أفعل ، لمجيء فعل وأفعل بمعنى واحد كثيرا ، إلا أن الدراسة لوجوه الإعجاز ، المبنية على البحث العلميّ والمعملي فصلت بين القراءاتين معنويا ، فجعلت لكل منهما دلالة تخصه ، فأزر بوزن فعل ، تدل على الدعم والعون ، من كل من الشطء والزرع ، في وقت معين لكل واحد منهما ، وآزر تدل على تناوب المعاونة بينهما تبعا للاحتياج لذلك ؛ وبهذا يستدل على أن القراءتين معا تعبِّران عن مجمل حال النبات والشطء معا ، ولا يُسْتَغْنى بإحدى القراءتين عن الأخرى .

## ب ـ تنبت بالدهن

قال ـ تعالى ـ :﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [المؤمنون : ٢٠] .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب: ( تُنْبِتُ ) بضم التاء وكسر الباء ، وقرأ الباقون : ( تَنْبُتُ ) بفتح التاء وضم الباء[٢] .

والقراءتان ، متواترتان ، في تلك الآية التي تتكلم عن شجرة الزيتون ، والمادة الأصلية لكلتا القراءتين : ( نبت ) ، والقراءة الأولى من أنبت المزيد بالهمزة ، والثانية من نبت المجرد . ونبت فعل لازم ، يقال نبت البقل ، ويتعدى بالباء ، كما في القراءتين على أن : نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد ، نحو : سرى وأسرى ، ومطرت السماء وأمطرت ؛ على ما يرى الزجاج ، والفراء وغيرهما[٣] .

وعلى اللغتين قول زُهَير بن أبي سُلْمى [ ... – ١٣ ق هـ] :

رَأَيْتُ ذَوِي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِم قَطِيناً لَهُمْ حتى إذا أَنْبَتَ البقلُ

(١) كأبي حيان الأندلسي ، البحر المحيط ١٠٢/٨ .

(٢) النشر ٣٢٨/٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٢٢/٢ ، جامع البيان ١٩/ ٢٣ ، معاني القرآن للنحاس ٤٥٣/٤ ؛ تهذيب اللغة١٤/ ٢١٦ .

قال الطبري : ويروى: نبت[١] .

وتحتمل القراءتان أن تكون الباء للسببية ؛ على أن المعنى أن شجرة الزيتون ، تنبت بسبب الدهن الموجود في الجنين الموجود في بذرتها ؛ لأنه يساعده على البقاء حيا ؛ والقول بهذا لا يضيف قزيةً لأنبات الزيتون ؛ لأن كل بذر في جنينه مادة دهنية ، تساعد عل بقائه حيا . وقريب من هذا المعنى ما ذكره الطبري فقال : « تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن »[٢] ، وما علله الطبري لا يتحقق واقعا ؛ لأن الشجرة لا يكون إنباتها بثمر الدهن .

ولا يمنع أن تكون الباء في القراءتين بمعنى المصاحبة ، مع إفادتها التعْدِية ، ويكون فعل وأفعل بمعنى واحد[٣] ـ أيضا ـ ، ويكون المعنى على ذلك : تَنبُت ، أو تُنْبِت نباتها مصطحبة الدهن ، أي : معها أو فيها الدهن[٤] ، قال الزَّجَّاج : « كما تقول : جاءني زيد بالسيف ، أي : جاءني ، ومعه سيف »[٥] .

ويبدو أن هذا المعنى هو الأرجح ؛ إذ قال ابن عاشور: « والباء : باء الملابسة ، والملابسة هي المصاحبة ، وهي الإلصاق أيضاً ، فهذه مترادفات في الدلالة على هذا المعنى ، وهي كما في قوله تعالى : ( تنبت بالدهن ) »[٦] .

---

(١) جامع البيان ٢٣/١٩ ، ورواية البيت في شرح شعر زهير بن أبي سلمى لأبي العباس ثعلب [٢٠٠ – ٢٩١ هـ] تح : د . فخر الدين قباوة ٩٢ ط ٣: الغوثاني . دمشق : ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م . بلفظ ( أنبت ) وذكر المحقق في الهامش أن في نسختين من نسخ مخطوطات الديوان : ( نبت ) .

(٢) جامع البيان ١٩/ ٢٣ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٤٦٧ .

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٥٣/٤ ، المحكم لابن سيده ٩/ ٥٠٤ ، الكشاف ٣/ ١٨٤ ، البحر المحيط ٦/ ٣٧١ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٠/٤ .

(٦) التحرير والتنوير ١٤٧/١ .

ولعل ما يؤيد ترجيح هذا المعنى ؛ أن ما جاء في الدراسات العلمية الحديثة ، يثبت أن هاتين القراءتين ، تكشفان عن سر إعجازي عظيم ، يتمثل في الدلالة على معنى المصاحبة ، حيث اتضح :

١ ـ أن نتائج دراسات الباحثين في علوم النبات أثبتت أن شجرة الزيتون تنبت بالدهن فعلا ، وأن إنباتها بالدهن يكون ملازما لها طول عمرها ، وليس مقتصرا على مرحلة بعينها ؛ ويتضح ذلك من خلال قول بعض العلماء : « وخشب الزيتون من الأخشاب الممتازة ، ذات اللون البني العسلي ، غني بالمواد الزيتية ، والمواد الحافظة ؛ التي تحول دون تلف خشب الزيتون ، وتسوسه ، وإصابته بالحشرات وخاصة دابة الأرض المسماة بالنمل الأبيض ، الذي يعتبر من ألد أعداء المواد الخشبية والجذوع المستخدمة في البناء »[١] ، وكون خشب الزيتون غنيا بالمواد الزيتية ؛ أكبر دليل على أن شجرة الزيتون تنمو ، والزيت مصاحب لما ينبت فيها ، ويكون معنى ( تنبت بالدهن ) تنمو ، والدهن مصاحب لكل ما ينبت من أجزائها ؛ ويؤيد هذا قول ابن فارس : « النون والباء والتاء أصلٌ واحدٌ ، يدلُّ على نماءٍ في مزروع »[٢] .

وإذا كان الفعلان ( نبت ، وأنبت ) تدلان على النماء ، وقد اكتشف الدهن في خشب الزيتون ؛ فهذا دليل على أن الخشب كان ينمو ، وفيه دهن قبل أن يقطع من شجرة الزيتون .

ومما يؤيد وجود دهن الزيتون في خشب شجره ؛ ما يلاحظه الفلاحون إذا أرادوا أن يعدوا مشروب الشاي على نار القضب ؛ فإذا وجدوا أنهم قد جمعوا قضبا من خشب الزيتون استبعدوه ؛ بسبب أن الشاي شديد الحساسية ؛ إذ يلتقط

---

(١) آيات معجزات في الشكل الظاهري للنبات ٣٠ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣٧٨/٥ .

الرائحة الزيتية من خشب الزيتون ؛ فيظهر في مذاقه ، فضلا عن أن خشب الزيتون دائم التدخين ؛ بسبب غناه بالزيت ؛ فلا تصفوا ناره كثيرًا .

٢ ـ مما يزيد نظرية نمو الزيتون بالدهن تأكيدا ، أن الزيت في الشجرة لا يقتصر على ثمرة الزيتون ، أو خشبه ، من أغصان وسيقان فحسب ؛ بل أثبتت الدراسات العلمية عن طريق تحليل المكونات أن مجموعة زيوت : ( الأوليوربين ، والأبقنين ، واليزتولين ) من المكونات الرئيسية لأوراق الزيتون[١] !.

وبهذا يتأكد أن دلالتي قراءتي ( تُنْبِتُ ) و ( تَنْبُتُ ) تجتمعان في أنهما لغتان بمعنى واحد ، هو النمو ، وأن هذا النمو مصطحب الدهن ، في كل مكونات شجرة الزيتون : الثمار ، والخشب ، والأوراق ، وأن الإعجاز في كلتا القراءتين واضح ، ومؤيد ـ على ما سبق عرضه ـ بما أفرزته الدراسات العلمية الحديثة ، التي أكدت المعنى السابق ، ورفضت بذلك قول من قال : إن الباء في قراءة ( تُنْبِت ) لابن كثير وأبي عمرو ورويس عن يعقوب زائدة .

* * *

(١) مقال العلاج بالأعشاب : مجلة الجزيرة السعودية العدد ٢٣ الصادر يوم الثلاثاء ٢٤ذو الحجة١٤٢٣هـ = ٢٥ فبراير ٢٠٠٣م .

## المبحث الرابع

## الجمـــاد

يتناول هذا العنوان : تربة الأرض عندما تستقبل الماء فتربأ أو تربو ، ثم العين الحمئة ، فالتي يغور فيها الماء ، ثم البحار الْمُسَجَّرة ، كل ذلك من خلال القرءات القرآنية :

### أ ـ ربت .. ربأت

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [ الحج : ٥ ] .

قرأ أبو جعفر ( ربأت ) بهمزة مفتوحة بعد الباء ، وقرأ الباقون بحذف الهمزة فيهما ، وكذا قرئ في فصلت : ٣٩[١] .

والقراءة الأولى فعلها: ربأ ، والثانية فعلها : ربا ، الأول مهموز ، والثاني : معتل . و « رَبا الشيءُ يَرْبُو رُبُوّاً ورِباءً : زاد ونما ، وأَرْبَيْته : نَمَّيته[٢] » ، وعلى هذا فـ « رَبَتْ » مَعْناهُ : عَظُمَتْ وانْتَفَخَتْ[٣] ، وعَلَتْ[٤] .

و « رَبَأَتِ ـ بالهمز ـ الأَرضُ رَبَاءً : زكَتْ وارْتَفَعَتْ ؛ ... ... لأَنَّ النَّبْت إِذا هَمَّ أَن يَظْهَرَ ارْتَفَعَتْ له الأَرضُ »[٥] ؛ قال ابن عطية : وجهها أن يكون من ربأتُ القوم

---

(١) النشر ١/ ٤٠٤ .

(٢) لسان العرب ( ربا ) ١٤/ ٣٠٤ .

(٣) المحكم ١٠/٣٢٧ .

(٤) لسان العرب ( هزز ) ٥/ ٤٢٣ .

(٥) السابق ( ربأ ) ١/٨٢ .

إذا علوت شرفاً من الأرض طليعة ، فكأن الأرض بالماء تتطاول وتعلو[١] .

ويدل ما سبق على أن معنيي ( ربأ ) و ( ربا ) متقاربان ، أو أن أصلهما بمعنى واحد ؛ ويؤيد ذلك قول ابن فارس : « الراء والباء والحرف المعتل ، وكذلك المهموز منه ، يدلُّ على أصلٍ واحد ، وهو الزِّيادة والنَّماء والعُلُوّ ؛ تقول مِن ذلك : ربا الشّيءُ يربُو ، إذا زاد ، وربَا الرّابيةَ يَربُوها ، إذا علاها ، ورَبَا: أصابه الرَّبْو ؛ والرَّبْو: علُوُّ النفَسِ ...

وأما المهموز فالمربَأ والمَرْبَأة من الأرض ، وهو : المكان العالي يقف عليه عَينُ القَوم ، ومَربأة البازِي : المكانُ يقف عليه... ... وأنا أربأ بك عن هذا الأمر ، أي : أرتفِع بك عنه ، وذكر ابن دريد: لفُلانٍ على فُلانٍ رَبَاء ، ممدود ، أي طَوْلٌ »[٢] .

ويجدر قبل ذكر الجانب الإعجازي في القراءتين ، بيان بعض الألفاظ ، التي سبقت ربت أو ربأت ، وهي : اهتزت ، هامدة ، خاشعة ؛ لارتباط الصورة الإعجازية بجميع تلك الألفاظ ؛ حيث سُبِقت القراءتان بلفظ : اهتزت ، وصفا للأرض ، ومعناها : تحركت عند وقوع النبات بها[٣] .

وسبق لفظ اهتزت بلفظ ( هَامِدَةً ) في سورة الحج ، و ( خَاشِعَةً ) في فصلت ، وكلاهما وصف للأرض ـ أيضا ـ قال الأزهري : « سمعتُ العربَ تقول : رأيت أرض بني فلانٍ خاشعةً هامدة ما فيها خضراء »[٤] .

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٣٢٨ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(٣) لسان العرب ( هزز ) ( ٥/ ٤٢٣ )

(٤) تهذيب اللغة١/ ١٠٧ .

وهم يقولون : قد خشعت : إذا يبست ولم تُمطَر[١] ، ويقولون : هامِدةٌ : إذا كانت مقشِعرَّةٌ ، لا نبات فيها إلاّ يَبِيسٌ مُتَحطِّم[٢] ، وكأن القرآن قد استعمل لفظ هامدة بالهاء: الصوت الضعيف[٣] ؛ ليبين أن الأرض وصلت إلى حالة من الإعياء، جعلها قد أشرفت على الموت ، بل ماتت بالفعل ؛ بدليل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ ﴾ [فصلت : ٣٩] . واستعمل لفظ خاشعة بقوة الخاء ؛ ليبين أنها بلغت أعلى الدرجات في الخضوع لربها ، فإذا جاء بعدها لفظ اهتزت ، الذي تكرر فيه الزاي المجهور الصفيري ، الذي يدل على قوة الانتعاش ، ونهضة الحياة ، وكأنها تتراقص مبتهجة ؛ ﴿ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجِۭ ﴾ [ الحج :٥ ].

**واللمحة الإعجازية في ربأت وربت اللتين يدل معناهما على : العلو ، والنماء ، والزيادة ، تتضح في أن** : حبيبات التربة مكون غير حي ، وتحمل الماء الذي به العناصر اللازمة للكائن الحي ، فإذا اختلط الماء بالتربة ، بدأ نشاط تلك الحبيبات ، والكائنات التي فيها ، وأكد كثير من علماء الأرض ، أن نزول الماء

---

(١) لسان العرب ( خشع ) ٨/٧١ .

(٢) تهذيب اللغة ٦/ ١٢٦ . والعرب تستعمل لفظ خامدة بالخاء ، للنار : التي سَكَن لهبُها ، وجَمْرُها يتَّقد ، تهذيب اللغة١٤/ ٢٥ ، وكأنهم راعَوْا دلالة الخاء المستعلية ، المفخمة ؛ ذات الصوت القوي ؛ لأن النار مع سكون لهبها مازال جمرها متقدا ؛ فإذا سَكَن لهبُها وبرَدَ جمرُها فهي عندهم هامدة ، السابق . كالأرض الهامدة فاستعملوا لها صوت الهاء من أصنعت أصوات العربية ؛ مراعاة لأن النار قد انطفأت وبرد جمرها .

(٣) يوصف بالمهتوت عند الخليل بن أحمد ؛ لجمعه كل صفات الضعف ، من : همس ، ورخاوة ، واستفال ، وانفتاح ، وترقيق . الصوت اللغوي عند القدامى والمحدثين : د . محمد عبد المنعم النجار ٢٢٦ . ط ١: دار الطباعة المحمدية: ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

على التربة ، يبدو على أثره أنَّ : عند فحص حبيبات التربة ، بجهاز ( الميكروجراف الإليكتروني ) يظهر أنها تتكون من صفائح متراصة فوق بعضها من ( السيلكا ، والألومونيوم ) وسطح الحبيبات مشحون كهربائيا بسبب اختلاف شحنها داخليا ، فإذا نزل الماء دفعت جزيئات الدقائق الطينية ؛ فيحدث لها حركات مهتزة ، لا تثبت إلا إذا تعادلت شحنتها كهربيا ، عن طريق تلاقح السالب والموجب ، على سطح الحبيبات ؛ فتستقر وتسكن ؛ بالتقاء السالب والموجب ، وقد اكتشف هذا الأثر ( روبرت براون ) عام ١٨٢٨م.

كما تهتز التربة عند إحلال الماء محل الهواء ، في حبيبات التربة ، وتهتز – أيضًا – تلك الحبيبات عند بزوغ جُذَير النبات ، أو استطالة سوقه[١] .

**ربت :**

سبق أن حبيبات التربة تتكون من صفائح متراصة من ( السيلكا ، والألومونيوم ) وعند نزول الماء على تلك الحبيبات ، يتخلل الصفائح ومعه العناصر المذابة فيه ؛ فتتشربه الحُبْيَبات مع الغِرَويات ، ؛ فيزيد سُمْكها ، إضافة إلى أن الماء الذي على سطح الحبيبة ، يباعد المسافة بينها وبين أخواتها ؛ فتربو التربة وتزداد ، ومن التجارب البسيطة على ذلك: لو وضع مقدار محدد من التراب ، في مخبار مدرج ، وصب عليه كَمِّية محددة من الماء ؛ يتبين زيادة حجم الطين بتشربه للماء ، وينقص حجم الماء بتجفيف التربة[٢] .

كما أن ربو وانتفاخ الحبيبات ؛ يدلل على احتفاظها بكمية الماء ؛ التي تكفي

---

(١) اختلاط الماء بالأرض الهامدة . د . قطب عامر فرغلي ١٢وما بعدها ، ظ . موسوعة الإعجاز العلمي ٢١٢ ، ٢١١ ، ظ . من أسرار القرآن ٢٠٠٢/٢/٢٥م .

(٢) اختلاط الماء بالأرض الهامدة٢١ .

لمعيشة النبات عدة أيام[١] .

وتم اكتشاف ربو حبيبات التربة بواسطة ( ميكروسكوب ) ضوئي اخترع عام ١٩٥٠م ، على يد ( زكاريا جانسن ) الهولندي[٢] .

وليس إعجاز القرآن وقراءاته في الحديث عن الاهتزاز والربو فقط ، بل في ترتيب القرآن للألفاظ : الاهتزاز أولا ، فالربو ، فالإنبات ، وهو ما يحدث بالضبط واقعيا ، ورصدته أدق الأجهزة ، وجاء في القراءتين ، على نفس النسق وهذا الترتيب[٣] .

ومن الطريف أن يهتدي بعض المفسرين من السلف ، إلى استنتاج ما أقره العلم الحديث ، من اهتزاز الأرض على الحقيقة ؛ قال الطبري [ ٢٢٤ - ٣١٠ هـ ] : « وكان بعضهم يقول في معنى ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ ﴾ ، ويوجه

---

(١) السابق ١٢وما بعدها ، ظ . موسوعة الإعجاز العلمي ٢١٢ ، ٢١١ .

(٢) مجلة الحقيقة العدد١٥ ، ص٧ ، مقالة لإدارة المجلة بعنوان « اهتزت وربت » .

(٣) آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات ٣٣ وما بعدها ، مجلة الحقيقة العدد١٥ ، ص٧ .

المعنى إلى الزرع ، وإن كان الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض »[١] .

وأوضحُ من كلامِ الطبري كلامُ القرطبي [٦٠٠ - ٦٧١هـ] ؛ إذ قال « ولما وصف الأرض بالإنبات ؛ دل على أن قوله : ﴿ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ ﴾ يرجع إلى الأرض لا إلى النبات ، والله أعلم »[٢] .

## ب ـ العَيْن الحَمِئَة

قال ـ تعالى ـ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ ... ﴾ [الكهف : ٨٦] .

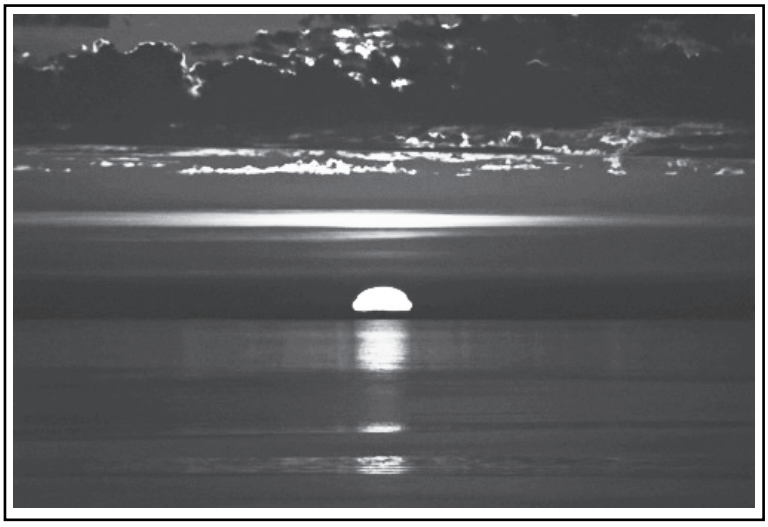

قرأ نافع وابن كثير والبصريان وحفص : ( حَمِئَةٍ ) بغير ألف بعد الحاء وبهمز الياء ، وقرأ الباقون ( حَامِيَة ) بالألف وفتح الياء من غير همز[٣] .

والقراءتان متواترتان ، وقراءة ( حَمِئَةٍ ) من حَمِئَ الماءُ يَحْمَأُ حَمَأً ؛ إذا كَدِرَ وتَغَيرت

(١) جامع البيان ٥٧١/١٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٤ .

(٣) النشر ٣١٤/٢ .

رائحته ؛ بعدما خالطته الحَمْأَةُ[١] : واحدة الحَمَأ[٢] ، وهي : الطّينُ الأسود المُنْتن ، وفي التنزيل : ﴿ ... مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ ][٣] . ويقال : حَمِئَت البِئْرُ حَمَأً ؛ فهي حَمِئَةٌ ، إذا صارت فيها الحَمْأَة وكَثُرَتْ[٤] ؛ لأن ( حَمِئَةٍ ) صفة مشبهة ، تدل على أنها كثيرة السواد من الحمأة[٥] .

وسئل « كعب الأحبار [ ... - ٣٢ هـ] كيف تجد الشمس تغرب؟ قال : في ماء وطين ، كذلك نجده في التوراة[٦] » ، وقال : « ... ... أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء »[٧] .

وقراءة ( حَامِيَة ) اسم فاعل ، على ( فاعلة ) مشتقا من حمي يحمى ، فهو في المعنى في عين حارة[٨] ، أي : حارة من الحمو ، وهو الحرارة ، أي أن ماءها سخن[٩] .

وقال أبو حاتم السجستاني [٠٠٠ - ٢٤٨ هـ] : « وقد يمكن أن تكون حامية مهموزة ؛ بمعنى ذات حمأة ؛ فتكون القراءتان بمعنى واحد ، يعني أنه سهلت

---

(١) تهذيب اللغة ٥/ ١٧٩ .

(٢) المحكم ٣/٤١١ .

(٣) العين ٣/ ٣١٢ ، المخصص ١٠/ ٦٢ .

(٤) تاج العروس ( حمأ ) ١/٢٠١ .

(٥) الغيث المسجم٨٤ .

(٦) مفاتيح الغيب ٢١/١٤٢ .

(٧) جامع البيان ١٨/ ٩٦ .

(٨) الكشف٢/٧٣ .

(٩) التحرير والتنوير١٦/ ٢٦ .

الهمزة ؛ بإبدالها ياء لكسرة ما قبلها »[١] .

واختلف في تفسير غروب الشمس ، في العين الحمئة ، أو الحامية ، وتحديد المكان الذي فيه تلك العين ، قديما وحديثا ؛ **ومن أهم ما قيل في ذلك** :

* سجل الصفدي [ ٦٩٦ - ٧٦٤ هـ ] اعتراضه على من سماهم الزنادقة ؛ بأنهم « يقولون : إن البرهان قد ثبت ، في أن الشمس قدر الأرض مائة وستين مرة وكسورا ، فكيف تدخل مع هذا القدر العظيم ، في عين من عيونها[٢] » ؟!.

وأجاب عن ذلك بأن ( في ) ليست ظرفية ، وأن ابن قتيبة [٢١٣ - ٢٧٦ هـ] ذكر أنها بمعنى عند[٣] . وذكر أبو حيان الأندلسي [٦٥٤ ـ ٧٤٥هـ ] هذا الرأي ؛ فقال : « وزعم بعض البغداديين أن ( فِى ) بمعنى : عند ، أي ( تَغْرُبُ ) عند عين[٤] » ؛ وقال: « ومعنى ( تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ ) أي فيما ترى العين ، لا أن ذلك حقيقة ، كما نشاهدها في الأرض الملساء ، كأنها تدخل في الأرض »[٥] .

* فسر الفخر الرازي [٥٤٤ - ٦٠٦ هـ] ذلك تفسيرا علميا مقبولا ؛ فقال : « ثبت بالدليل أن الأرض كرة ، وأن السماء محيطة بها ... ...

وإذا ثبت هذا ، **فنقول : تأويل قوله** ﴿ تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ **من وجوه** :

**الأول** : أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ، ولم يبق بعده شيء من العمارات ، وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة ، وإن لم تكن كذلك

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٥١ .

(٢) الغيث المسجم٨٤ .

(٣) السابق .

(٤) البحر المحيط ٦/ ١٥١ .

(٥) السابق .

في الحقيقة ، كما أن راكب البحر ، يرى الشمس كأنها تغيب في البحر ، إذا لم ير الشط ، وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر .

**الثاني** : أن للجانب الغربي من الأرض مساكن ، يحيط البحر بها ، فالناظر إلى الشمس ، يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار ، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة ؛ فهي حامية وهي أيضاً حمئة ؛ لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء ؛ فقوله تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَة ، إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض ، قد أحاط به البحر ، وهو موضع شديد السخونة.

**الثالث** : قال أهل الأخبار : إن الشمس تغيب ، في عين كثيرة الماء والحمأة ، وهذا في غاية البعد ؛ وذلك لأنا إذا رصدنا كسوفاً قمرياً ، فإذا اعتبرناه ورأينا أن المغربيين ، قالوا : حصل هذا الكسوف ، في أول الليل ، ورأينا المشرقيين ، قالوا : حصل في أول النهار ، فعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب ، هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق ، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا ، فهو وقت العصر ، في بلد ، ووقت الظهر في بلد آخر ، ووقت الضَّحْوة في بلد ثالث ، ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ، ونصف الليل في بلد خامس ، وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار ، وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة ، في كل هذه الأوقات ، كان الذي يقال إنها تغيب في الطين والحمأة كلاماً على خلاف اليقين ، وكلام الله – تعالى – مبرأ عن هذه التُّهمة ، فلم يبق إلا أن يُصَار إلى التأويل الذي ذكرناه »[١] .

**أما الدراسات العلمية الحديثة ؛ فقد انتهت إلى نتيجتين ، بيانهما فيما يأتي :**

* توقف فريق من أصحاب تلك الدراسات ، عن الخوض في هذا الأمر ؛ منتظرين مزيدا من إلقاء الضوء البحثي ؛ لإمكان تحديد بقعة العين الحمئة ، أو

(١) مفاتيح الغيب ٢١/ ١٤٢ بتصرف .

الحامية ؛ للوقوف على تفسير علمي لذلك ؛ إذ علق د. زغلول النجار [١٩٣٣م - ....] حفظه الله – تعالى - بقوله عن ذي القرنين : « سلك طريقه متجها إلى الغرب من موطنه الذي يبدو - والله أعلم - أنه كان جزيرة العرب، فغرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي - وكان يسمي في القدم باسم بحر الظلمات - وكان يظن أن اليابسة تنتهي عنده ، فرأي الشمس تغرب فيه أو عند أحد شواطئه ؛ حيث تكثر البرك التي تنتشر فيها الأعشاب ، ويتجمع حولها الطين ، وتكثر عيون الماء الحارة ... ... وهذا الوصف ( عين حمئة ) أي : حارة ، أو مليئة بالطين الأسود، قد يعين الباحثين ، في الوصول إلى أقصى نقطة غربية ، وصلها هذا العبد الصالح : ذو القرنين »[(١)] .

فانتهى إلى أن الباحثين في حاجة إلى معونة علمية ؛ للبت في تحديد مكان تلك البقعة .

* قام فريق آخر ببعض الدراسات ، منتهيا إلى أن موقع العين الحمئة ، في غرب كل من أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، وأن إقامة ذي القرنين ، كانت في شرق دولة ( المكسيك ) ، ومنها بدأ رحلته[(٢)] .

والأدلة التي قدمت ، لا تنهض بصحة تلك النتائج التي قام بها هذا الفريق .

**ومن خلال ما سبق يتبين** : أنه لم يتم تحديد لتلك البقعة بأدلة قوية ، تطمئن إليها النفس ، وكان هذا دافعا أن تجتهد هذه الدراسة ؛ لكي تصل إلى تحديد أقرب إلى الدقة ، يؤكد صدق ما انتهى إليه من نتائج ، وبناء على ما تم استعراضه من مادة

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠١٠/٥/٨م .

(٢) علوم الأرض وقراءة مختلفة لقصة ذي القرنين في القرآن الكريم : د . أسماء الفراج الكتبي ، أ . سارة خوري : المؤتمر العلمي السابع في القرآن والسنة : علوم الأرض ص١١ .

علمية ؛ تميل هذه الدراسة إلى : تأكيد أن المراد بتلك البقعة ، مدينة ( باكو ) عاصمة أذربيجان ، على بحر قزوين ، مستندة إلى عدد من الأدلة ، **تتلخص في ما يأتي** :

* قال ابن عاشور [١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ] : « ويظهر أن هذه العين ( : عين حمئة ) من عيون النَّفْط الواقعة على ساحل بحر الخزر [: قزوين] حيث مدينة ( باكو ) ، وفيها منابع النَّفط الآن ؛ ولم يكن معروفاً يومئذ ، والمؤرخون المسلمون يسمونها البلاد المنتنة »[(١)] .

ولعل ما يؤيد قول ابن عاشور ، في ما ذكر من أوصاف بحر الخزر ؛ قول ياقوت الحموي [٥٧٤ - ٦٢٦ هـ] : « وهو بحر مظلم قعره طين ، بخلاف بحر القلزم وبحر فارس ، فإن في بعض المواضع ، من بحر فارس ، ربما يرى قعره ، لصفاء ما تحته من الحجارة البيض »[(٢)] .

كما أن مدينة ( باكو ) أول مدينة في العالم ، في إنتاج النفط وتكريره ، ( ١٨٩٩-١٩٠٨م ) ، وهي مصنفة على أنها أشد مناطق العالم تلوثا[(٣)] .

وبذلك يتضح من وصف المؤرخين المسلمين لتلك المدينة وما حولها بالبلاد المنتنة ، وهو وصف الحمأ المسنون ، وبأن قعر بحرها طين ، والحمأة طين أسود منتن ، كل هذا يؤيد القول بأن تلك البقعة حمئة ؛ فإذا أضيف إلى ذلك عبارة تؤكد أنها حامية ، إلى جانب أنها حمئة ؛ يتبين سبب هذا الترجيح ؛ إذ قال : المؤرخ ، الرَّحَّالة ، البَحَّاثة ، البغدادي ، المسعودي[(٤)] [ ... - ٣٤٦ هـ] منذ أكثر

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦/١٦ .

(٢) معجم البلدان ١/ ٣٤٢ .

(٣) ظ . الموقع الإلكتروني : ( الموسوعة العربية ـ مدينة ( باكو ) على الشبكة العنكبوتية ( النت ) .

(٤) الأعلام للزركلي ٢٧٧/٤ .

من ألف عام ، عن تلك المدينة ـ وقد كان العرب يسمونها باكة ـ قال: « وتختلف ، المراكب فيه بالتجارات ، من المواضع التي سمينا من ساحله إلى ( باكة ) ، وهي معدن النفط الأبيض وغيره ، وليس في الدنيا ـ والله أعلم ـ نفط أبيض إلا في هذا الموضع ، وهي على ساحل مملكة شروان ، وفي هذه النفَّاطة أطمَة [ : حِصْنٌ ] ، وهي عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الأوقات ، ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر ، منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل ، فيها أطمة عظيمة تزفر في أوقات من فصول السنة ؛ فتظهر منها نار عظيمة ، تذهب في الهواء ، كأشمخ ما يكون من الجبال العالية ؛ فتضيء الأكثر من هذا البحر ، ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر »[(١)] .

ولعل في هذا العرض ، تأكيد على صحة تلك النتيجة ، وتأييد لما ذكره بعض العلماء من قولهم : لا تنافي في أن تكون العين حَمِئَة وحامية معا ؛ فجائزأن تكون العين جامعة للوصفين جميعا[(٢)] .

وهذا على أن القراءتين مختلفتان في المعنى ؛ وأن الوصفين يصدقان تمام الصدق على تلك المنطقة ؛ في ( باكو أو باكة ) . وبذلك تبرهن تلك الأدلة على إعجاز القراءتين المتواترتين جميعا ، وأن الأخذ بهما معًا ساعد على تحديد موطن تلك العين الحمئة الحامية معًا .

## ج ـ غور الماء

قال ـ تعالى ـ : ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ [الكهف : ٤١] .

وقال : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] .

---

(١) مروج الذهب ١٨٦/١ .

(٢) جامع البيان ٩٦/١٨ ، تهذيب اللغة ٥/ ١٧٩ ، الكشف ٧٣/٢ ، مفاتيح الغيب ١٤٢/٢١ ، البحر المحيط ٦/ ١٥١ ، تاج العروس ( حمأ ) ٢٠١/١ .

قرأ الجمهور ( غَوْراً ) بفتح الغين في الموضعين ، وقرأ البُرْجُمِيُّ من طرق شُعْبة عن عاصم بن أبي النجود : ( غُورًا ) بضم الغين في الموضعين[١] .

وقراءة الجمهور هي المتواترة ، و ( غورا ) فيها : مصدر غارتْ البئر ، إذا نَزح ماؤها فلم تنله الدِّلَاء[٢] ، ومعناه : غائرا ؛ بأن يغوص ويسفل في الأرض[٣] ، قال أهل اللغة في قوله ( غَوْرًا ) أي : غائراً ، فهو نعت على لفظ المصدر ؛ فوضع الغَوْر وهو مصدر ، مكان الغائر[٤] ، للمبالغة في غور الماء وذهابه بلا عودة ، كما يقال : فلان زَوْر ، وصَوْم ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، ويقال : نساء نَوْح أي نوائح[٥] .

وغَوْرُ كلِّ شيء : قَعْرُه ؛ يقال : فلان بعيد الغَوْر ، وكل ما انحدر مسيله ؛ فهو غَوْرٌ[٦] ، والغَوْر : المُنْهَبِط من الأرض[٧] .

ولم تقف هذه الدراسة ، على مصدر في التفسير أو اللغة يبين دلالة لفظ ( غُورًا ) في قراءة البُرْجُمِيُّ !! .

وغالب الظن أنها جمع غائر ؛ فمثلها ( بُوراً ) من ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح : ١٢] : جمع بائر ، يقال : رجل حائر بائر ، وقوم حُور بُور[٨] ؛ وبذلك

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ٨٣ ، البحر المحيط ١٢٣/٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ٥٥ .

(٣) مفاتيح الغيب ٢١/ ١٠٩ .

(٤) جامع البيان ٢٦/١٨ .

(٥) مفاتيح الغيب ٢١/ ١٠٩ ، معاني القرآن للفراء ١٤٥/٢ .

(٦) لسان العرب ( غور ) ٣٤/٥ .

(٧) المفردات ٣٦٧ .

(٨) السابق ٦٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/١٦ .

تتفق دلالة كل من قراءة البُرْجُمِيُّ وقراءة الجمهور ؛ فقراءة الجمهور : ( غَوْراً ) هي مصدر بمعنى غائر ؛ وقراءة البرجمي جمع للفظ هذا المعنى .

ويعد كوكب الأرض ، أغني كواكب المجموعة الشمسية بالماء ؛ ولذا يسميه علماء الأرض: الكوكب المائي ، أو الكوكب الأزرق ، وماؤه موزع على سطحها في البحار والمحيطات ، والمجاري المائية، والجليد فوق القطبين، وباطنًا على هيئة مخزون مائي ، تحت سطح الأرض(١) . وقد أثبت العلماء أخيرا ً أن كل الماء الموجود على سطح الأرض ، قد اندفع إليه من داخلها ؛ عبر ثورات البراكين، وأشار القرآن الكريم إلى تلك الحقيقة بقوله : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ [النازعات:٣٠ ، ٣١](٢) .

ومن الثابت علميًّا ، أن الماء الذي خُزِنَ في صخور الأرض ؛ بتقدير من الله – سبحانه وتعالي – أصله كله من ماء المطر ، الذي أنزله ربنا – تبارك وتعالي – على فترات متطاولة من الزمن(٣) .

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠٢/٤/٨م .

(٢) السابق .

(٣) نفسه .

و « هذه الحقائق أنزلها ربنا – تبارك وتعالي – من قبل أربعة عشر قرنا، وكان فلاسفة الحضارة الإغريقية من قبل ذلك يعتقدون أن الماء المتجمع تحت سطح الأرض ؛ مندفع إلى داخل القارات ، من ماء البحار والمحيطات ، بتأثير حركة الرياح ، وأن الماء المخزون في صخور الأرض ، يعاود الحركة إلى المحيطات عبر هوة خيالية سحيقة ، أطلقوا عليها اسم ( تاتار ) وقد سادت هذه الخرافات فكر الحضارة الاغريقية وتبناها العديد من فلاسفتهم من أمثال ( طاليس ) ، و ( أفلاطون ) و ( أرسطو ) ... واستمر اعتقاد الأوروبيين في هذه الخرافات حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ( ١٨٧٧ م ) على الرغم من أن العالم الفرنسي ( برنارد باليسي ) أشار في سنة ١٥٨٠ م ( أي بعد بدء نزول القرآن الكريم بنحو القرون العشرة ) إلى أن الماء الأرضي يعود أصله إلى ماء المطر »[١] . وبهذا يتضح سبق القرآن في إثبات ذلك .

كما ثبت علميًّا أن المياه الجوفية ، المحفوظة في باطن الأرض ، بعد أن تتسرب إلى باطنها ، تتجمع في طبقات كل واحدة منها تلو الأخرى ، وتوجد على أعماق متفاوته ، قربا وبعدا ، وتتحرك رأسيا في مناطق التشبع السطحية، ثم تتحرك أفقيا أو مائلة حتى تتخزن[٢] .

وليس لتلك المياه جداول أو أنهار تجري فيها ، وإنما هو تشبع يملأ المسام التي في التربة والفجوات ، التي على هيئة مكامن مائية ، أعدتها بحكمة بالغة الإرادة الإلهية، لآلاف بل لعشرات الآلاف من السنين ، وقد تتجدد بماء المطر السنوي أو لا تتجدد ؛ ولولا حفظ الله ـ تعالى ـ هذه المكامن المائية من أخطار الحركات الأرضية من مثل الخسوف والتصدعات الأرضية، والثورات البركانية،

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠٣/٨/٤م . .

(٢) السابق .

والمتداخلات النارية ما بقيت تلك المكامن المائية ، بل لَدُمِّرَت بالكامل ، وعبر القرآن عن ذلك ؛ فقال : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨] . فعبر بأدق لفظ عن ما يحدث للماء ( فَأَسْكَنَّاهُ ) ؛ ليدلل على أن إسكانه يعني الاستقرار ، والاتزان في المسطحات المائية ، وعلى أنه ـ تعالى ـ أوجد له فراغا تشغله المياه الجوفية ، يسكن فيه ، في المسام التي بين الصخور(١) .

وعند خروج تلك المياه الجوفية تخرج على هيئة رشح(٢) ، وقد يصادف تلك المياه في حركتها بعض الصدوع، أو الفواصل أو الشقوق ؛ فتصعد منها إلى سطح الأرض ، على هيئة ينابيع أو عيون مائية(٣) ، وقد تُخْرَج عن طريق الآبار المحفورة .

وغور الماء وإن كانت آثاره ترى في الآبار النازحة ، إلا أن إمكانية ذهابه بلا عود ، أكدته الدراسات العلمية الخاصة بعلوم الأرض ؛ بأن تهاجر المياه الجوفية في الطبقات الصخرية الرسوبية إلى مسافات طويلة ؛ بسبب نشوء الخسوف أو الصدوع الأرضية، فتصبح هذه المياه غائرة ، فلا يمكن الوصول إليها ، مهما كان لدى الإنسان من أدوات ﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ ، كما قد تغور بالضخ المفرط الزائد عن معدل تدفق الماء إلى البئر، وفي الحالين لا يحفظ الماء في صخور الأرض أو يعوضه إذا غار إلا رب العالمين(٤) ، ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ ﴾ .

وبهذا يتبين إعجاز القراءة القرآنية ، في دلالة تعبيرها عن غور الماء بلفظ

---

(١) الإعجاز العلمي والبلاغي ٢٨ .

(٢) المياه والرياح في القرآن ١٨١ .

(٣) من أسرار القرآن ٢٠٠٣/٨/٤م .

(٤) السابق ، الإعجاز العلمي والبلاغي ٢٨ .

المصدر ؛ للمبالغة في الإعراب عن استحالة عودة الماء ، الغائر إلا إذا أعاده الله ـ تعالى ـ .

## د ـ تسجير البحار

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير:٦] .

قرأ ابن كثير والبصريان إلا أبا الطيب عن رويس : ( سُجِرَتْ ) بتخفيف الجيم ، وقرأ الباقون وأبو الطيب عن رويس ( سُجِّرَتْ ) بتشديدها[١] .

والقراءتان متواترتان ، ومادتهما الأصلية : ( سَجَر ) ، والقراءة الأولى مصدرها : السَّجْر أو السُّجُور ، ومصدر الثانية : التسجير[٢] . وذكر ابن فارس أن مادة ( سجر ) تدل على ثلاثة معانٍ : « المَلْء ، والمُخَالطة ، والإيقاد .

فأمّا الملء ؛ فمنه البحر المسجور ، أي : المملوء ، ويقال للموضع الذي يأتي عليه السّيلُ فيملؤه : ساجر ، ... ... وأمَّا المخالَطة فالسَّجِير : الصاحب والْخَلِيط ،

(١) النشر ١/ ٤٨٢ .

(٢) لسان العرب ( سجر ) ٤/٣٤٥ .

ومنه عينٌ سَجْراءُ ، إذا خالط بياضَها حُمْرة.

وأمَّا الإيقاد ؛ فقولهم : سَجَرت التّنُّور ، إذا أوقدتَه ، والسَّجُور: ما يُسجَرُ به التّنُّور »[١] ، وهو الحطب[٢] ، وعلى هذا يكون المعنى في القراءتين أن المراد بالبحار التي سُجِرَت : التي ملئت ، أو خلطت[٣] ، أو أوقدت ؛ ويفسر هذا تعليق بعض المفسرين على ( يُسْجَرُونَ ) من ﴿ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر :٧٢] بأن معناها : يوقدون[٤] ، أو يحرقون[٥] ، ولأن المقام مقام أهوال ، وسؤال ، وتعذيب ؛ فالأنسب له ما يدل على الإيقاد ؛ ولذا فإن ثعلبًا اللغوي [٢٠٠ – ٢٩١ هـ] لما فسر ( سُجِّرَت ) بقوله : ملئت ؛ علق على تفسيره ابن سيده [ ٣٩٨ ـ ٤٥٨هـ ] بقوله : « ولا وجه له إلا أَن تكون مُلِئَت ناراً »[٦] .

وقال الفراء : كان عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ الله عنه يقولُ في ( سُجِّرَت ) : مَسْجُورةٌ بالنّارِ ، أَيْ : مَمْلُوءةٌ[٧] ، ومَسْجُورةٌ اسم مفعول من ( سُجِرَ ) المخففة ، ويدل على أن قراءة التخفيف لها نظير من القرآن ؛ إجماع القراء على ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ [الطور : ٦] فالمسجور اسم مفعول من ( سُجِرَ ) المخفف ، ولم يقل الـمُسَجَّر من سُجِّر[٨] . والتشديد في ( سُجِّرَت ) على معنى التكثير ؛ لأن لفظ

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٣٤/٣ .

(٢) تهذيب اللغة٣٠٤/١٠ .

(٣) في تهذيب اللغة ٣٠٤/١٠: سُجِّرَتْ:أفضَى بعْضُها إلى بَعضٍ فَصَارَ بَحْراً وَاحِداً .

(٤) تنوير المقباس ٣٩٩ ، شمس العلوم ١/ ٢٦٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٦٣٥/٤ ، روح المعاني ٨٦/٢٤ .

(٦) لسان العرب ( سجر ) ٣٤٥/٤ .

(٧) تهذيب اللغة٣٠٤/١٠ .

(٨) الكشف ٣٦٣/٢ .

البحار يدل على أنها كثيرة[١] . وبهذا يكون سَجْرُ البحار ، أو سُجُورها ، أوتسجيرها يدل على امتلائها بالنار ، سواء أكان في يوم القيامة ؛ على ما في سياق القراءتين ، أم في الدنيا على ما يظهر من القسم بالبحر المسجور ، وأصبح ذلك حقيقة علمية في الدراسات الحديثة في علوم البحار ، **وبيان ذلك** :

* يبين العلم الحديث أنه من الممكن أن تتحول مياه البحار والمحيطات جميعا ـ بقدرة الله تعالى وإرادته ـ إلى نيران هائلة ، تغطي أسطح جميع البحار والمحيطات ، بل وتشتعل جميع تلك المياه نارا متأججة ، وذلك أن جزيئات الماء يتكون كل واحد منها من ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الأوكسوجين ، وبسبب أن الرابطة بينهما ضعيفة ، فمن السهل فصل ذرات كل منهما عن الآخر[٢] ، عن طريق التَّأَيُّنِ ، كما تنفصل ذرات الهيدروجين عن الأوكسوجين ، بواسطة أجهزة التحليل الكهربائي للماء ، مثل ما يحدث تماما في القنابل الهيدروجينية ، وخاصة أن الأوكسوجين يساعد على الاشتعال ، و الهيدروجين غاز يشتعل ، عندما تقترب منه شظية نار ، واشتعال مع مساعدة على الاشتعال ، يعنى دوام اشتعال النار ، واتساع رقعتها في أسرع وقت .

* نظرا لأن الإنسان لا يستطيع الغوص في أعماق الماء ، أكثر من ٤٥ مترًا ؛ لإمكانية تعرضه لضغط شديد ؛ يؤدي إلى الموت ، واصل الإنسان التطوير الصناعي ؛ حتى أمكن صناعة غواصات الأعماق ، وأمكن للغواصين الوصول إلى عمق ٢٥٠٠مترا في قيعان البحار والمحيطات ، بالغواصة ٢٠٠٠ في عام ١٩٧٧م ؛ حيث اكتشف العلماء ما يعرف بثقوب المياه الحارة على هذا العمق[٣] ؛ ففسر هذا

(١) السابق .

(٢) ظ . المياه والرياح في القرآن الكريم ١٦٥ .

(٣) الكائنات البحرية العجيبة ، ودور البكتريا في التمثيل الكيميائي د . أمين مصطفى غيث ، د . محمد =

ما كان « في مشروع لاستثمار ثروات قاع البحر الأحمر ؛ حيث كانت باخرة أبحاث تلقي بِكَبَّاشٍ من المَعْدِن ؛ لجمع عينات من طين ذلك القاع ، ويرتفع الكبَّاش في عمود من الماء ، يزيد سمكه عن ثلاثة آلاف مترٍ ؛ فإذا وصل إلى سطح الباخرة ، لا يستطيع أحد أن يقربه من شدة حرارته ؛ وإذا فتح يخرج منه الطين وبخار الماء الحار في درجات حرارة تتعدي ثلاثمائة درجة مئوية »[١] .

* وفي أواخر القرن العشرين ، تم اكتشاف حقيقة تلك الظاهرة ؛ الناتجة من تمزق الغلاف الصخري للأرض ؛ بشبكة من الصدوع العملاقة ، المكونة لأودية الخسف أو الأغوار ، التي تمتد في كافة الاتجاهات لعشرات الآلاف من الكيلو مترات ، في قيعان محيطات الأرض ، وبعض بحارها ، ويتراوح عمق تلك الصدوع بين ٦٥ و ٧٠ كيلو مترًا تحت قيعان البحار والمحيطات ، التي تتسع عند خطوط التباعد بينها ، فتندفع الصُّهَارة الصخرية [ : النار السائلة] بملايين الأطنان ، في درجات حرارة تتعدي الألف درجة مئوية ؛ لتساعد على دفع جانبي المحيط يمنة ويسرة ، وتملأ المسافات الناتجة بالصهارة الصخرية المندفعة من باطن الأرض على هيئة ثورات بركانية عارمة ، تحت الماء ، تُس!جِّر قيعان جميع محيطات الأرض ، وقيعان أعداد من بحارها ، ويستمر تجدد مادتها الصخرية ، وقد شاهد علماء البحار ذلك بأعينهم عندما ركبوا الغواصات، ورسموا خرائط طوبوغرافية ، لشكل قيعان المحيطات ، بعدما شاهدوا أن أغلب قيعان المحيطات مسجرة بالنيران ، النيران التي أوقدت تحت الماء ، حيث تندفع الحمم البركانية الحمراء ، وهي مشتعلة ، دون لهيب مباشر ، عبر صدوع قيعان البحار والمحيطات ، وتندفع تلك الحمم وفيها الصُّهَارة الصخرية بملايين الأطنان

---

= صالح الحريري ١٧٦ من بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة : الكويت ١٤٢٧ هـ .

(١) من أسرار القرآن ٢٩/١١/٢٠٠١ . بتصرف .

في درجة حرارة تزيد عن الألف درجة مئوية ، تسجر قيعان كل محيطات الأرض و بحارها النشطة، ومع تجدد اندفاع الصهارة الصخرية يتوالى اتساع قاع المحيط ، ويمتليء محور المحيط بالصهارة الصخرية الحديثة ، المندفعة عبر مستويات الصدوع الممزقة لقاعه ؛ فتسجره(١) .

وبذلك أمكن التعرف على ظاهرة عرفت لدى علماء الأرض ـ فيما بعد ـ بظاهرة الطفح البركاني ، الناتج من صدوع الجبال البركانية ، الموجودة في قيعان كل محيطات الأرض حتى المتجمد منه، وبعض بحارها كالبحر الأحمر ، فقيعانها مسجرة بالصهارة الصخرية المندفعة بملايين الأطنان من داخل الأرض ؛ بسبب اشتعال الصهير نارًا ، تحت سطح البحر ، ولا تستطيع مياه البحر إطفاءه(٢) .

« كما أنه لا يتبخر هذا الماء بالكامل ، وأن هذا الاتزان الدقيق بين الأضداد من الماء والحرارة العالية هو من أكثر ظواهر الأرض إبهارا للعلماء في زماننا »(٣) .

إذ تبين لهم أنه لولا فضل الله في الطفح البركاني ؛ « لانفجرت الأرض ، منذ أول لحظة من تكوينها ، نتيجة لما يحدث في باطنها ، من تفاعلات نووية وكيميائية هائلة »(٤) . هذا العرض السابق يبين بوضوح أحوال البحار التي يمكن أن تسجر بالنار في أي وقت .

لكن لو دُقِّق النظر في ما سبق عرضه ؛ لَوُجِد أن اكتشافات العلماء ، والحقائق التي دونوها ، مرتبطة بما قاله علماء السلف من أن البحر المسجور هو الممتلئ نارا ،

---

(١) من أسرار القرآن ٢٠٠١/١٢/٢٤م،الكائنات البحرية العجيبة ، ودور البكتريا في التمثيل الكيميائي ١٧٥ .

(٢) المياه والرياح في القرآن الكريم١٦٥ ، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن ٢٣ .

(٣) من أسرار القرآن ٢٠٠١/١٢/٢٤م . بتصرف .

(٤) الكائنات البحرية العجيبة ١٧٦ .

وأن هنالك أنفاقا تحت البحار ، لا يقل عمقها عن ستين كيلومترا ، وتقدر مسافات العرض والطول بعشرات الآلاف من الكيلومترات ، لماذا لا تكون هذه هي البحر المسجور ؛ على إرادة الجنس ؛ أو البحار المسجَّرة ؛ فهي ـ بالفعل ـ مسجورة ، بالنّارِ، أَيْ : مَمْلُوءةٌ ؛ على ما فسرت كتب التراث(١) ، كما أنه من خلال البحث العلميّ الحديث ، يبدو تأييد ما وَجَّه به بعض العلماء دلالة قراءة « التشديد في ( سُجِّرَت ) على التكثير ؛ لأن لفظ البحار يدل على أنها كثيرة »(٢) ، فضلا عن أن البحوث العلمية أكدت أن التسجير يعم كل المحيطات والبحار النشطة .

وهذه الحقائق ليست بغريبة ؛ على السلف ؛ ففي الحديث النبوي عن يعلى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البحر هو جهنم ، ثم تلا ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَآ ﴾ [الكهف : ٢٩] ، قال يعلى : والله لا أدخله أبدا ، والله لا تصيبني منه قطرة أبدا »(٣) .

وفي سنن أبي داود : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلاَّ حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا »(٤) .

وعليه فكل تلك الحقائق العلمية التي اكتشفت ، سُبق أصحابها بما في القرآن وقراءاته ، وبما في السنة المطهرة ، والتفسير اللغوي والقرآنيّ ، وشكرًا للذين اكتشفوا ذلك عِيَانًا ؛ فنبهونا إلى كنوز تراثنا.

* * *

(١) تهذيب اللغة ١٠/٣٠٤ .

(٢) الكشف ٢/٣٦٣ .

(٣) سنن البيهقي الكبرى: كتاب الحج : باب ركوب البحر لحج أو عمرة : ٤/ ٣٣٤ . ط . دار الباز . مكة المكرمة : ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .

(٤) سنن أبي داود : باب فِى رُكُوبِ الْبَحْرِ فِى الْغَزْوِ ٢/٣١٤: دار الكتاب العربي . بيروت .

# الْخَاتِمَةُ

بعد الانتهاء ـ بحمد الله وفضله ـ من هذا البحث يتقرر ما يأتي :

١ـ حاجة علم القِراءات ، وما يرتبط به من العلوم ، كعلم الرسم والضبط والشكل ، إلى إخراج ما بها من كنوز إعجازية ، وقد أثبتت الأيام عبقرية كل من قام من السلف بعمل يتعلق بالقرآن ، فضلا عن دقتهم وأمانتهم ، وحبذا لو استعدت كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا لإقامة عدة مؤتمرات ، في القابل ـ إن شاء الله ـ تعالى ـ في رسم المصحف وضيطه ، وباقي ما يتعلق به بموضوعات القراءات وعلومها .

٢ ـ كشف هذا البحث المتواضع ، شيئا من فوائد دراسة الإعجاز العلميّ في القِراءات ، إذ كان منها :

* الإعانة في تحديد الدلالة الدقيقة لألفاظ القرآن وقراءاته ، بناء على الدراسات التي بنيت على حقائق علمية ، وفيها خدمة للقرآن الكريم وقراءاته.

* يساعد بيان أوجه الإعجاز القرائيّ في الفصل بين الآراء ، المختلف فيها بين العلماء ، وترجيح الرأي المؤيد بالحقائق العلمية ، ومن ذلك مرجع الضمير في ( فَآزَرَهُ ) من قوله ـ تعالى ـ ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ [الفتح : ٢٩] هل يعود إلى الشطء ، وهو أقرب مذكور ، أو يعود إلى الزرع. وقد فَصَل في ذلك حقائق الإعجاز العلمية ؛ بناء على التجارب المعملية ، التي أيدت الرأي الذي نظر الأسلاف إليه على أنه ضعيف ، وهو أن الزرع هو الذي يقوي الشطء .

* يحتاج موضوع إعجاز القِراءات القرآنية إلى جهود علمية ، تفوق طاقة الفرد على حدة ، وتحتاج إلى فريق عمل متعاون ، من أهل الأداء والعلميين والفنيين ؛ لإبراز جوانب إعجاز القِراءات مجتمعة ، وليس بصناعة فردية ، لعجز الفرد الواحد عن ملاحقة سائر العلوم .

# المصادر والمراجع


١ـ آيات معجزات في الشكل الظاهري للنبات . د. نظمي خليل أبو العطا موسى. ط١: دار السلام . مصر : ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

٢ـ آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات . د. نظمي خليل أبو العطا موسى. ط١: دار الجميل : ١٤١٧هـ.

٣ـ اختلاط الماء بالأرض الهامدة . د. قطب عامر فرغلي : نشر : الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة : ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م : سلسلة عالم النبات.

٤ـ ( الأرض فراشاً والسماء بناء ) : إعداد اللجنة العلمية بهيئة الإعجاز العلميّ : مجلة الإعجاز العلميّ العدد ٨ شوال ١٤٢١هـ .

٥ـ أصول نشأة الإنسان من معجزات القرآن : د .طبيب : محمد دودح ، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة بدولة الإمارات.دبي : ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٦ـ الإعجاز العلميّ في القرآن : د. السيد الجميلي. ط ٢: دار الهلال ، دار الوسام : بيروت . لبنان:١٩٩٢م.

٧ـ الإعجاز العلميّ في القرآن والسنة : عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، عبد الجواد الصاوي . نشر: الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة : ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٨ـ الإعجاز العلميّ في تميز الإبل في خلقها عن باقي الحيوانات : أ.د: طبيب بيطري : حامد عطية محمد : من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة . الكويت ١٤٢٧ هـ ، أبحاث علوم الحياة.

٩ـ الإعجاز العلميّ والبلاغي في القرآن الكريم : فهد خليل زايد . ط ١ دار النفائس : عمان ، الأردن : ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

١٠ـ إعجاز القرآن في إنجاب الذرية : أ.د. مجاهد أبو المجد . أ.د. سامي عبد الفتاح هلال : بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة : إسطنبول . تركيا . دار جياد للنشر والتوزيع: ١٤٣٢ هـ =٢٠١١ م . محور الطب وعلوم الحياة الجزء الثاني.

١١ـ إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن: د .طبيب : رفيق أبو السعود: ط: ٣ دار المعرفة : ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

١٢ـ إعراب القِراءات الشاذة لأبي البقاء العكبري [ ٥٣٨ـ ٦٤٦ هـ ] تحقيق د. محمد السيد عزوز . ط ١: عالم الكتب . بيروت : ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦م .

١٣ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين : لابن القيم : محمد بن أبي بكر : أيوب بن سعد الزرعي : أبو عبد الله شمس الدين الدمشقي [٦٩١ – ٧٥١ هـ ] تحقيق : طه عبد الرءوف سعد . ط. دار الجيل . بيروت : ١٩٧٣م.

١٤ـ ( أنه الحق ) . إصدار : الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة. ط٤: ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

١٥ـ التبيان في أقسام القرآن : لابن القيم : محمد بن أبي بكر : أيوب بن سعد الزرعي : أبو عبد الله شمس الدين الدمشقي [٦٩١ – ٧٥١ هـ ] ط : دار الفكر. [شاملة].

١٦ـ التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور [١٢٩٦ – ١٣٩٣ هـ] ط. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس: ١٩٩٧ م.

١٧ـ تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي [٦٥٤هـ ـ ٧٤٥هـ] تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، على محمد معوض. نشر دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان : ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م.

١٨ـ تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم : محمد رشيد بن على رضا [١٢٨٢ – ١٣٥٤ هـ ] ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠ م.

١٩ـ تكملة المعاجم العربية : رينهارت بيتر آن دُوزِي [١٨٢٠ – ١٨٨٣م] نقله إلى العربية: محمَّد سَليم النعَيمي ، و جمال الخياط .ط١: وزارة الثقافة والإعلام . الجمهورية العراقية: ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م

٢٠ـ تهذيب اللغة للأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهر : أبي منصور الأزهري [٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ] تحقيق محمد عوض مرعب. ط : دار إحياء التراث العربي. بيروت:٢٠٠١م.

٢١ـ جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: أبو جعفر الطبري [٢٢٤ – ٣١٠ هـ] تحقيق : أحمد محمد شاكر [١٣٠٩-١٣٧٧هـ] . ط١: مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠م.

٢٢ـ الجامع لأحكام القرآن: لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: أبي عبدالله القرطبي [٦٠٠ – ٦٧١هـ] تحقيق : هشام سمير البخاري. ط: دار عالم الكتب. الرياض. السعودية: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م.

٢٣ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري [٧٨٦ ـ ٨٧٥هـ] ط.مؤسسة الأعلمي . بيروت .

٢٤ـ الحقيقة : نشرة شهرية علمية تصدرها الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة.

٢٥ـ الحيوانات والحشرات: د مهندس : خالد فائق العبيدي ( سلسلة : ومضات إعجازية في القرآن والسنة النبوية ) ط. ١: دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان : ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٢٦ـ خصا ئص الحروف العربية ومعانيها: حسن عباس . منشورات اتحاد الكتاب العرب : ١٩٩٨ م.

٢٧ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود شكرى بن عبد الله بن محمود الألوسي الحسينى [ ٠٠٠ ـ ١٢٧٠هـ ] ط ٤: دار إحياء التراث . بيروت . لبنان : ١٤٠٥ هـ =١٩٨٥ م.

٢٨ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني [ ... ـ ٥٧٣هـ] تحقيق : د . حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن على الإرياني ، د. يوسف محمد عبد الله. ط١: دار الفكر المعاصر. بيروت. لبنان ، دار الفكر: دمشق. سورية: ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩م.

٢٩ـ شواذ القراءة واختلاف المصاحف لمحمد بن أبي نصر بن عبد الله : أبوعبد الله الكرماني [من علماء القرن السادس الهجري] مخطوط بالمكتبة الأزهرية ، برقم ٢٤٤ قراءات .

٣٠ـ الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية : لإسماعيل بن حماد الجوهري [٠٠٠ ـ ٣٩٣ هـ ] تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . ط ٣ : دار العلم للملايين . بيروت . لبنان : ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤ م .

٣١ـ ظواهر كونية بين العلم والإيمان. م . عبد الدايم الكحيل .ط١: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم : ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٣٢ـ علوم الأرض وقراءة مختلفة لقصة ذي القرنين في القرآن الكريم د.أسماء الفراج الكتبي أ. سارة خوري. المؤتمر العلميّ السابع في القرآن والسنة ـ علوم الأرض . دبي : ١٤٢٥ هـ .

٣٣ـ العين للخليل بن أحمد الفراهيدي [١٠٠ـ ١٧٥هـ]. تحقيق : د. مهدي المخزومي [١٩١٠-١٩٩٣م] ، د. إبراهيم السامرائي [١٩٢٣ ـ ٢٠٠١ م].ط : دار ومكتبة الهلال.

٣٤ـ الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي : خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي [٦٩٦ – ٧٦٤هـ] ط ١. حجرية : المطبعة الأزهرية المصرية : ١٣٠٥هـ.

٣٥ـ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري [٠٠٠ – بعد ٣٩٥ هـ] تحقيق : محمد إبراهيم سليم. ط . دار العلم والثقافة. القاهرة : ١٩٩٨م.

٣٦ـ الفلك : د مهندس : خالد فائق العبيدي ( سلسلة : ومضات إعجازية في القرآن والسنة النبوية ) ط١: دار الكتب العلمية. بيروت لبنان : ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٣٧- في ظلال القرآن: الشهيد سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي [١٩٠٦- ١٩٦٦م] ط: دار الشروق. القاهرة.

٣٨- قاموس القرآن : إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني [ ... - ٤٧٨هـ] تحقيق : عبد العزيز سيد الأهل. ط٣: دار العلم للملايين. بيروت: ١٩٨٠م.

٣٩- القرآن الكريم والعلم الحديث: د. منصور محمد حسب النبي ، ط : دار المعارف.

٤٠- القرآن والطب. د. الحاج محمد وصفي ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي: ط١:دار ابن حزم : ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

٤١- القرآن والعلم : أحمد محمود سليمان. ج ١.ط١: دار الشرق . القاهرة : ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م.

٤٢- ٤٣. الكائنات البحرية العجيبة ، ودور البكتريا في التمثيل الكيميائي : د. أمين مصطفى غيث ، د. محمد صالح الحريري ١٧٥ من بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة – الكويت ١٤٢٧ هـ.

٤٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي : جار الله الزمخشري [٤٦٧ – ٥٣٨ هـ] تحقيق : عبد الرزاق المهدي. ط . دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٤٤- الكشف والبيان: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: أبو إسحاق النيسابوري [٠٠٠ – ٤٢٧ هـ] تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور. ط١: دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان: ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م.

٤٥- الكون والإعجاز العلميّ في القرآن : د. منصور محمد حسب النبي. ط٣: دار الفكر العربي. القاهرة : ١٩٩٦م.

٤٦- الكون والإنسان بين العلم والقرآن: مهندس : بسام دِفضع. ط. الشام :١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

٤٧- اللباب في علوم الكتاب : عمر بن على بن عادل : أبو حفص الدمشقي الحنبلي [٠٠٠ – بعد ٨٨٠ هـ] تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلى محمد معوض.ط ١: دار الكتب العلمية : بيروت. لبنان : ١٤١٩ = ١٩٩٨م [شاملة]

٤٨- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري [٦٣٠ - ٧١١هـ] ط ١: نشر: دار صادر. بيروت.

٤٩- مجلة الإعجاز العلميّ العدد ٤٠ : صفر ١٤٣٣هـ.

٥٠ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية الأندلسي : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي [٤٨١ ـ ٥٤٦هـ] تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .دار الكتب العلمية. لبنان: ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٥١ـ المحكم والمحيط الأعظم : على بن إسماعيل أبو الحسن بن سيده المرسي [٣٩٨ ـ ٤٥٨هـ] تحقيق : عبد الحميد هنداوي. نشر: دار الكتب العلمية ، بيروت: ٢٠٠٠م.

٥٢ـ المخصص لابن سيده : على بن إسماعيل : أبو الحسن بن سيده المرسي [ ٣٩٨ ـ ٤٥٨هـ ] دار الفكر . القاهرة .

٥٣ـ مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن : مروان وحيد شعبان .من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة بدولة الإمارات.دبي ١٤٢٥هـ.

٥٤ـ مُرُوج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي: على بن الحسين بن علي: أبو الحسن المسعودي [٠٠٠ – ٣٤٦ هـ] من ذرية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.ط ٥: دار الفكر . بيروت: ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

٥٥ـ معاني القِراءات للأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهر : أبي منصور الأزهري [٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ] تحقيق : د. عيد مصطفى درويش ، د. عوض بن حمد القوزي . ط١:دار المعارف . القاهرة :١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

٥٦ـ معاني القرآن : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري : أبو جعفر النحاس [٠٠٠ – ٣٣٨ هـ] تحقيق : محمد على الصابوني [١٩٣٠م ـ ...] ط . جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية ومركز إحياء التراث الإسلامي . مكة المكرمة .

٥٧ـ معانى القرآن لأبى زكريا الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور [٠٠٠ ـ ٢٠٧ هـ] تحقيق : أحمد يوسف نجاتى ، محمدعلى النجار ، د. عبدالفتاح إسماعيل شلبى. ط: الدارالمصرية للتأليف والترجمة. القاهرة.

٥٨ـ معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل : أبو إسحاق الزجاج ( قبل ٢٣٠ـ ٣١١هـ] تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي. ط١: عالم الكتب . بيروت : ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م.[شاملة]

٥٩ـ المعجزات القرانية : هارون يحيى .ترجمة أورخان محمد على . ط.إستانبول : ٢٠٠٣م.

٦٠ـ معجزات حيوية علمية ميسرة . د. نظمي خليل أبو العطا موسى. ط١: دار السلام . مصر : ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

٦١ـ معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن . د .طبيب : نبيه عبد الرحمن عثمان. منشورات رابطة العالم الإسلامي . مكة المكرمة.

٦٢ـ معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي د: أحمد مختار عبد الحميد عمر [١٩٣٣ ـ ٢٠٠٤م] ط١. عالم الكتب. القاهرة : ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م.

٦٣ـ معجم اللغة العربية المعاصرة : د أحمد مختار عبد الحميد عمر [١٩٣٣ ـ ٢٠٠٤م] ط١: عالم الكتب : ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م.

٦٤ـ معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا [٣٢٩ ـ ٣٩٥هـ] تحقيق : عبد السلام محمد هارون [١٩٠٩ ـ ١٩٨٨م]. نشر: دار الفكر: ١٣٩٩هـ .

٦٥ـ مفاتيح الغيب : تفسير الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي : فخر الدين الرازي [٥٤٤ – ٦٠٦ هـ] ط ١: دار الكتب العلمية. بيروت: ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ م.

٦٦ـ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني [٠٠٠ – ٥٠٢ هـ] تحقيق : مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز . مكة المكرمة .

٦٧ـ من روائع الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم ، د. عاطف قاسم المليجي . ط١: النهار. القاهرة : ٢٠٠٠م.

٦٨ـ من روائع الإعجاز في القرآن الكريم : محمد جمال الدين الفندي : ط . مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر١٩٦٩ م.

٦٩ـ من علم الطب القرآنيّ : الثوابت العلمية في القرآن الكريم : د. طبيب : عدنان الشريف.ط١: دار العلم للملايين من بيروت . لبنان : ١٩٩٠م.

٧٠ـ موسوعة الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم والسنة المطهرة : يوسف الحاج أحمد . ط٢: ابن حجر : دمشق . سورية : ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

٧١ـ المياه والرياح في القرآن الكريم ، مع عرض ما توصل إليه العلم الحديث بشأنهما : عبد الرحمن محمد هشبول الشهري : رسالة ( دكتوراه ) : كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى : ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

٧٢ـ نبات المحاصيل : د. محمد السيد زيدان : نشر : الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة : ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م : سلسلة عالم النبات.

٧٣ـ النبات والإنبات: د . مهندس:خالد فائق العبيدي ( سلسلة:ومضات إعجازية في القرآن والسنة

النبوية ) ط١: دار الكتب العلمية. بيروت لبنان: ١٤٢٦هـ .

٧٤- النسيج الكوني.. بين العلم والقرآن : رؤية علمية قرآنية : مهندس : عبد الدائم كحيل. المؤتمر العلميّ الثامن للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . الكويت : ١٤٢٧ هـ.

٧٥- نشأة الذرية معجزة علمية : د. طبيب : محمد دودح : نشر : الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة .ط١: ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٧٦- النشر في القِراءات العشر لأبي الخير: محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف: ابن الجزري ( ٧٥١ - ٨٣٣ هـ ) صححه: الضبَّاع : على محمد حسن إبراهيم [١٣٠٧-١٣٨٠ هـ]. ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. د. ت.

٧٧- ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ د. أحمد عبد العزيز مليجي . من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة بدولة الإمارات.دبي : ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٧٨- ( وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ) : د. ياسين محمد المليكي . من بحوث المؤتمر الدولي السابع للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة :علوم الفلك والأرصاد.دبي:١٤٢٥ هـ.

٧٩- وجوه من الإعجاز القرآنيّ : مصطفى محمد زكي الدباغ.ط١: مكتبة المنار . الزرقاء . الأردن: ١٩٨٢م.

٨٠- الوراثة والاستنساخ : د مهندس. خالد فائق العبيدي ( سلسلة : ومضات إعجازية في القرآن والسنة النبوية ) ط١: دار الكتب العلمية. بيروت لبنان : ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٨١- وصف التخلق البشرى.. مرحلة النطفة بروفيسور. مارشال جونسون ، الشيخ عبد المجيد الزنداني ، د. مصطفي أحمد. منشورات : الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة . مكة المكرمة.

* * *

# الكَشَّافَات

١ـ الآيات القرآنية
٢ـ الأحاديث والآثار
٣ـ الأعلام

# ١ـ كشاف الآيات القرآنية


| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة النساء** | | |
| ﴿ ... وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ... ﴾ | ٢٣ | ٧٠ |
| **سورة المائدة** | | |
| ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا ... ﴾ | ٤٨ | ١٢ |
| **سورة الأنعام** | | |
| ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ .. ﴾ | ١٢٥ | ٤٢ |
| **سورة الأعراف** | | |
| ﴿ .. وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ | ٢٤ | ٥٩ |
| ﴿ .. فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ .. ﴾ | ١٨٩ | ٧ |
| **سورة الكهف** | | |
| ﴿ .. نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَآۚ .. ﴾ | ٢٩ | ١٣٨ |
| ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ .. ﴾ | ٨٦ | ١٢٢ |
| **سورة مريم** | | |
| ﴿ .. قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾ | ٢٩ | ٨ |
| **سورة طه** | | |
| ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا .. ﴾ | ٥٣ | ٥٤ |
| **سورة النور** | | |
| ﴿ .. ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا ﴾ | ٤٣ | ٥١ |
| **سورة الحجر** | | |
| ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ .. ﴾ | ١٤،١٥ | ٤٠ |
| ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ .. ﴾ | ٢٢ | ٤٦ |
| ﴿ .. مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ .. ﴾ | ٢٦-٣٣ | ١٢٣ |
| **سورة الأنبياء** | | |
| ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ .. ﴾ | ٣٠ | ١٥ |
| ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ .. ﴾ | ٤٧ | ٣٢ |

**سورة الحج**

﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ .. ﴾ ٥ ٧٢

**سورة المؤمنون**

﴿ .. فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ ١٣ ٧٤

﴿ .. ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ ١٤ ٨٤

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ .. ﴾ ٢٠ ١١٣

**سورة الفرقان**

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا .. ﴾ ٦١ ٢٦

**سورة الشعراء**

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ .. ﴾ ٢٨ ٣٤

**سورة يس**

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ .. ﴾ ٣٨ ٣٣

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ .. ﴾ ٦٨ ٩٢

**سورة غافر**

﴿ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ ٧٢ ١٣٤

**سورة فصلت**

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ .. ﴾ ٧ ١٧

﴿ .. إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ .. ﴾ ٣٩ ١١٩

**سورة الفتح**

﴿ .. وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ ١٢ ١٢٩

﴿ .. رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ ٢٩ ١١٢

﴿ .. وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ .. ﴾ ٢٩ ١٠٦

**سورة الذاريات**

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ ٧ ٢١

**سورة الطور**

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ ٦ ١٣٤

**سورة الواقعة**

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ... ﴾ ٥٧ ـ ٦٢ ٥٦

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ ٦٠ ٩٥

**سورة الرحمن**

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ١٧ ٣٤

**سورة الملك**

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ .. ﴾ ٢ ٩٧

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا .. ﴾ ٣٠ ١٢٩

**سورة المعارج**

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ .. ﴾ ٤٠ ٣٤

**سورة المزمل**

﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ .. ﴾ ٩ ٣٤

**النبأ**

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ ٦ ٥٤

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ ١٢ ٢٣

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ ١٣ ٢٦

**سورة النازعات**

﴿ .. أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾ ١٠ ٦٤

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ .. ﴾ ٣٠ - ٣١ ١٣٠

**سورة التكوير**

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ ٦ ١٣٣

**سورة الانفطار**

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ ٧ ٨

**سورة الطارق**

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ .. ﴾ ٥-٧ ٦٣

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ ٧ ٦٧

﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ ٨ ٧١

**سورة الغاشية**

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ١٧ ٨٨


* * *

## ٢ـ الأحاديث والآثار


| | |
|---|---|
| ما من كل الماء يكون الولد ( حاشية ) | ٦٥ |
| ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ( حاشية ) | ٦٧ |
| إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا .. | ٨٣ |
| إذا غُم عليكم فاقدروا له . | ٩٦ |
| البحر هو جهنم .. | ١٣٨ ، ١٣٩ |
| لاَ يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلاَّ حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ .. | ١٣٩ |


* * *

# ٣- الأعلام

العلم : الصفحة

( أ )

ابن أبي عبلة ( قارئ الشام ) : ٦٧ ، ٣٣
ابن الأعرابي : ٨٣
ابن السِّكيت : ٣٥
ابن السميفع اليماني : ٦٧
ابن القيم : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨
ابن أم صاحب = قعنب بن ضمرة الغطفاني : ٧٦
ابن جني : ١٦ ، ١٠٧
ابن خالويه : ١٠١
ابن دريد : ٢٢ ، ١١٨
ابن ذكوان ( راوٍ عن ابن عامر ) : ١٠٦
ابن سيده : ١٣٤
ابن عاشور : ١١٤ ، ١٢٧
ابن عامر ( أحد القراء السبعة ) : ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٧٥ ، ١٠٦
ابن عباس ( رضي الله عنهما ) : ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ١٠٠
ابن عطية : ٦٤ ، ١١٧
ابن فارس : ٢٢ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٧٢ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٣٣
ابن قتيبة : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٤
ابن كثير ( أحد القراء السبعة ) : ٤٠ ، ٤٢ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٣٣
ابن محيصن : أحد أئمة القراء الأربعة فوق العشرة : ٣٤
ابن مسعود : ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٩
ابن مقسم : ٦٧
ابن منظور : ٦٣ ، ٧٥
أبو الطيب عن رويس : ١٣٣
أبو بكر = شعبة عن عاصم : ٣٤ ، ٤٣
أبو جعفر : أحد القراء العشرة : ٤٣ ، ١٠٠ ، ١١٧
أبو جعفر الطبري : ١٦ ، ٣٢ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٢
أبو حاتم السجستاني : ١٢٣

أبو حيان الأندلسي : ٣٢ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٤
أبو حيوة : ١٥ ، ٢١ ، ٣٤
أبو زيد الأنصاري : ١٠٧
أبو عبيدة : ٥٠ ، ١٠٩
أبو مالك الغِفَاري : ٢١
أبو هلال العسكري : ١٩
أبوعمرو :ابن العلاء ( أحد القراء السبعة ) : ٤٣ ، ٧٥ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١١٦
أجنيري : ٥٣
أرسطو : ١٣١
الأزهري : ٥٥ ، ٥٩ ، ٩٣ ، ١١٨
الأعمش : ٣٤
أفلاطون : ١٣١
الألوسي : ٦٨ ، ٩٢
أهل الحجاز : ٦٤
إيشي زوكا ( العالم الياباني ) : ١١٠

**(ب)**

الباقر ( محمد بن على بن الحسين ) : ٣٣
البرجمي ( من طرق شعبة عن عاصم بن أبي النجود ) : ١٢٩ ، ١٣٠
برنارد باليسي ( العالم الفرنسي ) : ١٣١
البصريان ( أبو عمرو ويعقوب ) : ٤٩ ، ١٢٢ ، ١٣٣
بليز باسكال الفرنسي : ٤٨
بنزياس : ١٧
بييرسيمون لابلاس الفرنسي : ٣٣
(ت ـ ث )
تانكا ( العالم الياباني ) : ١١٠
تميم : قبيلة : ٨٧
ثعلب اللغوي ( ابو العباس ) : ١٣٤

## (ج - ح - خ)

الجمهور = جمهور القراء : ١٥ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠

الحرميون ( نافع وأبوجعفر وابن كثير ) : ٤٩
الحسن البصري ( أحد القراء الأربعة فوق العشرة ) : ١٥ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٦٩
حفص ( راوي عاصم ) : ٤٣ ، ٨٦ ، ١٢٢
الحلواني ( عن هشام عن ابن عامر ) : ١٠٦
حمزة ( أحد القراء السبعة ) : ٢٦ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٨٦
حميد بن قيس : ٣٤ ، ٤٩
خلف ( أحد القراء العشرة ) : ٢٦ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٩
خلف العاشر = خلف : ٤٩
الخليل بن أحمد : ٦٣ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١١١

**(د - ذ - ر - ز )**

الدامغاني : ٨٧
ذو القرنين : ١٢٤ ، ١٢٦
الرازي : ( أبو الفضل ) : ١٠٧
الرازي : ( فخر الدين ) : ٣٢ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٢٤
الراغب الأصفهاني : ١٠١
الربيع : ٢٢
رويس عن يعقوب : ١١٣ ، ١١٦ ، ١٣٣
الزبيدي : ٤٠
الزجاج : ١١٣ ، ١١٤
زغلول النجار : ١٢٦
زكاريا جانسن ( العالم الهولندي ) : ١٢١
الزمخشري : ٩٣
زهير بن أبي سلمى : ١١٣
زيد بن عليّ بن الحسين : ١٥ ، ٦٣
زين العابدين : ٣٣

**(س - ش - ص - ط )**

سعيد بن جبير : ٢٣
سفيان الثوري : ٦٩
سيبويه : ٦٣
شعبة = أبو بكر عن عاصم : ١٢٩

الصادق : ٣٣
الصفدي ( خليل بن أيبك ) : ١٢٤
طاليس : ١٣١

(ع)

عاصم الجحدري : ٣٤
عاصم بن أبي النجود ( أحد القراء السبعة ) : ٢٩ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٨٦ ، ١٢٩
عبد الله بن صالح بن مُسْلم العجلي : ٣٤
عطاء بن رباح : ٣٣
العُكْبَرِيّ : ١٠٠ ، ١٠١
عكرمة : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣
على بن أبي طالب : ١٠٠ ، ١٣٤
عمر بن الخطاب : ٤٤
عيسى بن عمر الثقفي البصري : ١٥ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٧٥
عيسى بن عمر الهَمْداني الكوفي ( شيخ الكسائي ) : ٥٤

**(ف ـ ق ـ ك)**

الفراء : ٨٢ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١٣٤
قتادة : ١٦ ، ٢٢
القرطبي : ١٢٢
قريش: قبيلة : ٨٧
قعنب بن ضمرة الغطفاني = ابن أم صاحب : ٧٦
كارلس فرمنك ( العالم البريطاني ) : ٢٥
الكسائي : أحد القراء السبعة : ٢٦ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠١
كعب الأحبار : ١٢٣
الكوفيون ( عاصم ، وحمزة ، والكسائي ) : ٢٩ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ٨١

**(م ـ ن )**

المبرد : ١٠١
مجاهد بن جبر : ٥٤ ، ١١٠
المدنيان ( نافع وأبو جعفر ) : ٤٢
المسعودي : ١٢٧
مكي بن أبي طالب : ٩٦

المهدوي : ٦٩
نافع ( أحد القراء السبعة ) : ٤٣ ، ١٢٢

## ( هـ - و - ي )

هشام بن عمار ( راوية ابن عامر ) : ٧٥ ، ١٠٦
هوبل : ١٩
الواحدي : ٩٦
ولسون : ١٧
ياقوت الحموي : ١٢٧
يعقوب الحضرمي ( أحد القراء العشرة ) : ٣٤ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ١١٣ ، ١١٦
يعلى : ١٣٨

* * *

# السيرة الذاتية للمؤلف

* الأستاذ الدكتور محمد عبد الواحد محمود الدسوقي .
* ولد بمحافظة المنوفية مركز الشهداء ـ قرية كفر الشِّبَع في ٢ رمضان ١٣٨٠هـ = ١٩٦١/٧/٢٢م .
* أستاذ مساعد في بكلية اللغة العربية بالمنوفية ، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
* حصل على (الماجستير) في أصول اللغة بتقدير (ممتاز) من كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٩م ، في : « الأصوات واللهجات في قراءة ابن عامر » كما حصل على درجة (الدكتوراة) في أصول اللغة بمرتبة الشرف الأولى في تحقيق كتاب المبهج في القِراءات السبع لسبط الخياط عام ١٩٩٣م ـ كلية اللغة العربية بالمنصورة .
* انتدب للتدريس بالدراسات العليا والإشراف على رسائل (الماجستير) و(الدكتوراة) بكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا ، منذ عام ٢٠٠٩م .
* عهد إليه تدريس الأداء القرآنيّ وعلوم اللغة العربية في معهدي : إعداد الدعاة بمديرية أوقاف المنوفية منذ ٢٠١٠م ، ومعهد معلمي القرآن الكريم بشبين الكوم منذ٢٠١٢م .
* **له عدد من المؤلفات منها :**
  - معجم مصطلحات العروض والقافية : دراسة اشتقاقية دلالية .
  - معجم مصطلحات القِراءات والتجويد ٢/١ م .
  - اللمحة الإعجازية في متواتر القِراءات القرآنية . ط مكتبة الإمام البخاري ٢٠١٣م
* **له عدد من التحقيقات التراثية منها :**
  - « المخصص » لابن سيده . ثلاثة أجزاء بالاشتراك ، برعاية دار لبنان ناشرون .
  - خلق الإنسان لأبي إسحاق الزجاج [٢٣٢-٣١١هـ] .
  - العسل والنحل والنبات الذي تجرس منه لأبي عمر الزاهد : غلام ثعلب .

ISBN
978 977 481 087 9
9 789774 810879